العدد ٩٠١ — ٩ أكتوبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

# الرسالة

والمروءة

## فهرس العدد


سياسة التعليم ... ... .. : للاستاذ أحمد بك رمزى ١١٣٣

يهرب من الحج ... ... ... : « محمد سيد كيلانى ١١٣٦

شيخ الإسلام ابن تيمية ... : « عبدالجليل السيدحسن ١١٣٧

محمد رشيد رضا ... ... ... ... : لصاحب الفضيلة الأستاذ حامد محمود ١١٤٢

الأدب المهنى ... ... ... ... : للاديب خليل رشيد ١١٤٤

غناء (قصيدة) ... ... ... : للانسه هجران شوقى ١١٤٦

(تعقيبات) — على هامش الأدب والنقد — مجلة الأديب فى قفص الاتهام — هجوم فى جريدة الزمان .

(الأدب والفن فى أسبوع) — الأحاديث الاذاعية — مشكلة القراءة ١١٥٢

(القصص) المعطف — مسرحية من كليفورد باكس — للاستاذ على محمد سرطاوى . ١١٥٥


٢٩ ٣٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

18me : année No 901

LeCaire - 9 — 10 — 1950

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٠١ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ذو الحجة سنة ١٣٦٩ — ٩ أكتوبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

## سياســـة التعليم....

للاستاذ أحمد بك رمزى

« إن بث العمران والتقدم فى هـذا البلد المتخلف عن غيره يمثل رسالة الجيل الناشىء : وايجاد جيل يؤمن بهذا ويعمل له ويكافح من أجله هو هدف كل سياسة تعليمية »

لست من رجال التعليم والتربية ، ولـكننى من أهل هـذا الوطن ، ومن حقي أن أبدى الرأى وأجهر به فى كل ما يمس حياة بلادنا . وأهم مشاكل مصر وأبعدها أثراً مشكلة التعليم ، وهى مشـكلة تسير كل عام نحو التعقيد ولذا لا أجد حرجاً على نفسى أن أكتب فيها وأقول : إذا كان للتعليم سياسة فهى كما قال الأستاذ محمد محمود زيتون « أحق من أى سياسة أخرى بالثبات والاستقرار ولاسيما فى جوهرها»

وفى نظرى إذا قدر لسياسة تعليمية أن تستقر وتثبت على أسس صالحة واضحة فيجب أن تلائم بين أمرين مهمين :

الأول : حاجة البلاد الاقتصادية

الثانى : مسايرة الثقافة العامة لروح العصر الحالى .

هذا مع التمسك بأن كل سياسة تعليمية لها هدف أسامى هو نشر الثقافة القومية وغرسها فى نفوس النشء لـكى تشعر بحيويتها وتعيش فى فيضها الأجيال القادمة وتتولى حفظها والسير بها فى المستقبل ، مع عدم التفريط فى توجيه القوى النفسية الدافعة الـكامنة فى الأمة حتى يخرج الجيل القادم قوياً : يعرف كيف يواجه ضربات الحياة ومشاكلها وبهذا نضمن أن تخرج الأمة من كل عراك سلمى أو تصادم حربى منتصرة رافعة الرأس صلبة لا تلين أمام الهزائم ولا النـكبات .

ولا شك فى أن العمل للوصول إلى هذه الغاية يحتم الالمـام بطائفة من المبادىء التى تبنى عليها قواعد غرس هذه الروح القومية الوطيدة القوية الواعية ، وكذلك معرفة العوامل الأساسية المـكونة لشخصية الجماعات والدوافع الفـكرية وهى مسائل فى حاجة للبحث وللدرس ولاستخلاص الحقائق : فاذا وفقنا لدراسة علمية لها للتثبت منها تبين لنا بوضوح طريق الوصول إلى التـكوين الروحى .

الرسالة عدد ٨٨٦ فى ١١ رمضان ١٣٦٩

والعقلي للامة وسبل إبراز العبقرية الكامنة لدينا واستعدادنا للتطور والنضوج . وهذه في نظري عوامل منبثقة من شخصية الأمة وتاريخها الاسلامي ولا يمكن أن تكون عارية تؤخذ من أنظمة موضوعة أو برامج تعليمية أخذ بها الغير في الغرب أو الشرق. وهذا البحث النظري التجريبي لم نأخذ به للاسف إلى الآن . ولقد قلت مرة : « لنا ثقافة واحدة نريد أن تكون صورة حية لنا وهي الثقافة العربية وليدة كفاحنا وجهادنا ، لا نسلم بان تطغى عليها ثقافة أخرى لأنها الأساس الثابت المكون للشخصية المصرية فلا يمكن أن نتنازل عنها أو نقصر في حقها بل يجب أن تبرز الثقافة العربية في كل ركن وناحية من نواحي نشاطنا » .

ولذلك لا أجد مبرراً للتردد أمام هذه الحقيقة ولا أجد سبباً للمجاهرة « بأننا أمة شرقية للفرعونية والاسلامية في دمائنا كرات حمراء وبيضاء ، وللحضارة الحديثة في حياتنـــا أسداء ... » — كما قال الأستاذ زيتون في الرسالة — فهذا المخرج لا محل له أمام الايمان بعروبة مصر » فنحن معاشر المصريين نكون أمة عربية ثقافتنا عربية سامية : ولا يمكن أن نكون غير ذلك والا وقعنا في المتناقضات وراجهتنا خطوات التعثر والتفكك التي نعيش فيها الآن ولا نجد لنا منها مخرجا ... ولا نستطيع عنها حولا . وعليه فأني أقول بأن الإيمان بعروبة مصر هو الذي يمهد لنا طريق البحث والاستقراء في اكتشاف منابع الحياة الفكرية والعقلية بل والنفسية في الأمة وسبل توجيه اللغة والأدب والفنون الجميلة والصحافة والاذاعة وكل مظاهر الحس والوجدان نحو تقوية أنفسنا واذكاء هذه الثقافة وغرسها وانمائها ودفعها وانطلاقها أي جعل اللغة الفصحى الصحيحة حية في كل مكان — في لغة التعكير والكلام والعلم والكتابة والحقل والمصنع — وعليه أضع معلم اللغة العربية في المقام الأول من المسئولية ، وأعده الدعامة الأولى لمستقبل البلاد ، وأرى أن يتفرغ لهذه الناحية بالذات وأن ينظر إلى رسالته نظرة يحوطها التقديس ، ولا يتولى عملا غير لغة البلاد وحماية ثقافتها ، التي أعتبرها أكبر عناصر الشخصية المصرية وأعلى مظهر لعبقريتها . فاذا اتفقنا على هذا الأساس ، ولا بد أن نسلم به تسليما انتقلنا إلى أهداف السياسة التعليمية كما تبدو لي .

وهنا أعود إلى الكلام عن الأمرين الهامين أي حاجة البلاد الاقتصادية وعماشاة أو مسايرة السياسة التعليمية لروح العصر الحاضر . فنحن لا نشك لحظة واحدة في ان كل سياسة للتعليم تستمد قوتها وتوجيهاتها من الروح السائدة الآن في العالم وهي علمية اقتصادية[1] Scientifico econm'que ولا أعرف لها مظهراً آخر ولا أخلط بين الحضارة الحديثة والاسلامية والفرعونية .

فنحن نطالب بأن تتجه السياسة التعليمية نحو الملاءمة بين مطالب العصر وهي علمية اقتصادية وحاجات هذه الأمة ، لكي تعيش في القرن العشرين:

ولقد قرأت لكثيرين ممن تعرضوا لشئون التعليم وخرجت من أبحاثهم بفكرة ثابتة هي أن الديموقراطية تجعل الثقافة والتعليم حقا للجميع بل هي ترمي إلى جعل تكافؤ الفرص حقيقة سهلة المنال لكل فرد . وعلى هذه الفكرة سار التعليم في مصر هذه الخطوات المباركة متجها إلى زيادة المدارس وفتح الجامعات والاكثار من دور العلم والمعاهد ولكنه انتهى إلى تسعير الشهادات وبدلا من دفع خريجي هذه المعاهد إلى البحث عن عمل لهم ورزق يعيشون منه تحت لواء الاقدام والمثابرة ، انتهى إلى حشد صفوف من حملة الشهادات يطالبون باستحقاقات في أوقاف خيرية . ولذا بقي السؤال الدائم الذي يواجه رجال المعارف المصريين هل نجحت سياسة مصر التعليمية بعد ان كف رجال الاستعمار الانجليزي أيديهم عن التدخل فيها ؟ وهل وفقت في سد حاجات البلاد وأخرجت جيلا يقدر أن يقف وحده بإرادة وتصميم ليسير بمصر نحو التطور الصحيح ؟

الجواب على هذا يقدمه رجال التعليم في أبحاثهم ومقالاتهم وما يشغل الرأي العام من تبلبل عند ابتداء السنة الدراسية وعند

---

١) راجع L' Evolution de p'E ducation par C.O. Benge الأستاذ بجامعة بونس ايرس باميركا الجنوبية.

نهايتها فى موسم الامتحانات وما يصيب التعليم من هزات كلما نادى المطلون بتحسين حالهم وانصافهم وكلما تقدم الطلاب بمطالب تعجز الوزارة عن تنفيذها ...

انى أضع أمام القارىء ما أعتقد أنه يصلح لإعطاء فكرة أولى لما يجول بخاطرى : فأقول « ان الثبات والاستقرار » يحتمان من المبدأ رضع الأسس وهذا يتمثل فى نظرى : فى تنسيق السياسة التعليمية بجعلها كما قلت من المبدأ : « خاضعة لحاجيات الأمة ومصالح البلاد » فاذا كانت النظم الديموقراطية adapter l' ensegnement aux beso'ns et aux interts du pays تحتم رفع ما أمكن من المستوى الجسمانى والعقلى والأدبى والمدنى لشباب الأمة ، وترمي إلى تمكين كل فرد من أفراد الشباب من دخول مدارس الدولة مهما كانت حالته[1] الدينية أو الاجتماعية أو العائلية أو الجنسية للحصول على التثقيف بأهون سبيل ، لا فرق بين الفتى والفتاة ولا بين الغنى والفقير ، بل نذهب إلى أكثر من ذلك فنفرض على وزارة المعارف أن تمهد لكل طالب حق استعمال حريته التامة فى اختيار الطريق للدراسة التى تلائم تطور شخصيته وتمكينه من استقلال استعداده الفطرى للتقدم والبروز حتى تظهر كفايته لنا وحتى يستفيد المجموع من هذا الفرد الناشىء .

فان هناك بجانب هذه الأهداف العامة اتجاهات تحتم أن تكون سياسة التعليم سياسة مبنية كما قلت على أسس اقتصادية علمية تستهدف تحقيق غايات معينة وسد النقص فى نواحى النشاط التى تظهرها حاجات البلاد ويحتمها تطورها فى القرن العشرين. وهذا يحتم أن يتسع نشاط الهيئات التعليمية حتى تخرج كل سنة آلاف العمال المتقنين لعملهم وآلاف الزراع الذين يعرفون عن حق مهنة الزراعة ، وآلاف ضباط الصف الذين يعتمد عليهم الجيش البوليس والقوات المسلحة ، وآلاف الميكانيكيين وهلم جرا مما لا يمكن حصرهم فى حياة أمة حديثة ناشئة:

فأ لا أستطيع أن أفهم سياسة للتضييع مثلا لا تشترك فيها وزارة المعارف ، ولا أسلم بنجاح عمل يقصد به رفع الانتاج الزراعى فى مصر من غير أن تسنده سياسة تعليمية تساعد وتمهد لهذا التطور الانتاجي فى الحقلين الزراعى والصناعى . ولقد رأينا فى بعض البلاد الشرقية — وهى فى ظروفها تشبهنا تماما — حينما أرادت أن تغزو الريف فى مناطق بعيدة عن المدنية والعمران ولا يمكن أن تقاس بها مسافات مصر ، رأينا جل اعتمادها على نشاط المدرسة فى القرية ، وكان هذا النشاط فى المطلة أولا ، ثم فى المعلم . ولا يمكن الاقلال من أثر المطلة فى دفع الحياة الريفية ، لأن نقل المزارع وأهل بيته من حالة التأخر والفوضى إلى القرن العشرين أتى على عاتق المطلة؛ فهى التى فرضت التقدم فى صميم عائلات الريف ، وهى التى قادت حركة التثقيف وتحسين الصحة. وكان عمل المطلة فى الريف مستمدا من توجيه المراقبة التعليمية فى كل اقليم والتى يتحتم أن تصبح مركزاً للتثقيف ونشر التعليم والتمدين فى الدائرة التى تعمل فيها ؛ فلا يقتصر عملها على ادارة المدارس الابتدائية والثانوية بل يجب أن يتعدى نشاطها هذه الدائرة فيشمل مجموع السكان : وأن يسند عملها إلى رجال يمثلون مختلف الهيئات سواء كانوا من رجال المعارف أو المجالس المحلية أو من ممثلى الهيئات الصناعية والزراعية حتى لا يقتصر عملهم على نشر التعليم الشعبي بين الجماعات ومحاربة الأمية بل يشمل النظر فى حاجيات كل اقليم لدفع التطور الزراعى والصناعى من هذا الاقليم بالذات إلى الأمام عاما بعد عام .

كل هذا يمكن أداؤه وتنظيمه . وإن غزو الريف بجعل اللامركزية عنصراً من عناصر التقدم بالتعليم والسير به نحو تثقيف أكبر عدد ممكن من الشعب . ولهذا أعد هذه اللامركزية خطوة أولى تستهدف رفع الأعباء وتخفيفها عن وزارة المعارف ، ثم أطمع فيما يتعلق بدفع الحياة الاقتصادية للامام إلى الأخذ بنوع من السياسة التعليمية يقصد به الملاءمة بين التعليم وحاجات السكان المحلية. اطمع إلى زيادة المدارس الفنية المتوسطة بحيث تقوم الصناعة والزراعة المصرية على ( كادر ) وأقصد به ( مجموعة ) من العمال والرؤساء الذين اتقنوا عملهم . بل فى حاجة إلى عشرات من هذه المدارس الصناعية والزراعية قبل أن نكون فى حاجة إلى إنشاء جامعة جديدة . واليك بعض ما لاحظته ابان وجودى خارج

---

١ — نقول هذا لما يلاحظ من ارتفاع نسبة الأمية والجهل بين المسلمين عند مقارنتهم بالطوائف الأخرى .

مصر . لقد مهدت لى خدمتى الاتصال بفئات كثيرة من الشعب المصرى . وقد رأيت من أهل شمال الدلتا وخصوصاً ( دمياط ) رجالا يعملون بالبحار ويواجهون الموت فى الحرب الماضية : فقلت لنفسى هؤلاء ثروة لمصر . الا ترى انهم فى حاجة لسياسية تعليمية تتفق مع بيئتهم واستعدادهم؟ فانشاء مدرسة متوسطة للبحار يفيد هذه المنطقة بدلا من تركهم على الفطرة التى ستنتهى بهم إلى الزوال كقوة بحرية قامت منذ زمن على تجارب ولكنها عتيقة. ثم هؤلاء أكثر نباتا واستعدادا لصناعة البحر من عناصر تأتى بها . إلى صفوف البحرية من أقاصى البلاد الداخلية بينما نترك الذين خلقوا ليجوبوا البحار وكانوا من سلالة شعب بحرى لعب دورا فى التاريخ وله وقفات فى معارك الحروب الصليبية .

وما يقال عن هؤلاء يمكن أن نقوله عن العمال الزراعيين . إن المدارس الزراعية الأولية والمتوسطة الريفية التى تخرج مختصين لتربية أشجار الفاكهة والعناية الفنية بالماشية أو بالفنون الميكانيكية أهم لدينا من عشرات المدارس الأولية التى لا تعلم شيئاً والتى انتهت إلى أن تكون بابا للرزق ولاستبقاء جزء كبير من الأمة فى حالة تعطل

إن حاجات البلاد ظاهرة واضحة والشباب المصرى من قوة الملاحظة والاستعداد الشخصى ما يمكنه من اتقان الدراسة السهلة التى تلائم البيئة وتدفعه إلى العمل لترقية الصناعة والزراعة ومرافق بلاده والمساهمة فى نقلها إلى القرن العشرين

إن السياسة التعليمية التى ترتكز على الاستقرار والثبات هى التى تدفع بالانتاج المصرى إلى أعلى ولا تقف مكتوفة الأيدى فتهبط به إلى أسفل، والتى تجعل من أول أهدافها عظمة البلاد وتقدمها، والتى تخلق جيلا يعمل بيده ولا يخجل من ذلك ، لأن العمران والتقدم فى هذا البلد المتخلف عن غيره يمثل رسالة الجيل الناشىء .

اننا نواجه كل يوم مشاكل الطوائف وهى مشاكل ترجع إلى ان خريجى المدارس المتوسطة فى الهندسة والزراعة ينظرون دائما إلى المساواة مع خريجى المدارس العالية ، بدون أن تقدر مسئولية كل طائفة .

فالكونستابل الذى يخرج من المدرسة لا يعتقد أن مهنته شريفة ولا ينظر إلى أنه يؤدى رسالة للوطن إذا وقف وسط الشارع ليشرف بنفسه على تنظيم المرور ، انه يلتمس الأعذار لكى يتولى عملا اداريا، وأرد كل هذا إلى أسس التعليم فى مدارسنا .

وما يقال عنه يصدق عن كل عمل يتولاه فريق منا خصوصا أبناء المدارس المتوسطة. أنهم ينظرون إلى الوظائف وإلى تسعير الشهادات قبل أن ينظروا إلى عظمة ورسالة المهنة التى يمثلونها .

اننى لا استطيع أن اسلم بنجاح وتقدم أى سياسة انتاجية سواء فى التصنيع الريفى أو الآلى وسواء فى تنسيق الزراعة المصرية على الأسس الحديثة وزيادة غلة الأراضى وهى قابلة للزيادة بشكل لا يمكن تحديده . إذا لم تدعم هذه الدفعة الإنشائية الإنتقالية — سياسة للتعليم — تلائم الأوضاع القائمة فى مصر ، وتعمل على مد هذه الدفعة بعناصر البقاء والاستمرار والتطور وهى ممثلة : فى إيجاد مجموعة من العمال الصناعيين والزراعيين المحنكين — إذا استعرنا الاصطلاح الفاطمى — لا يقلون فى تفكيرهم عن أى مجموع أوربى أو أمريكى .

وفى تهيئة مجموعة من الموظفين الإداريين والمهندسين المختصين لهذه الأعمال يعملون باخلاص .

إن حركة الصناعة لا تزال فى دورها التمهيدى والتحضيرى، وكذلك الإنتاج الزراعى المصرى لا يزال متخلفا عن غيره بل لا نبالغ إذا قلنا أنه لا يزال بدائيا .

وأكبر ما يؤخر نهضة البلاد هو أننا لا نزال نسير على غير هدى فى التعليم : والسياسة التعليمية الراسخة الثابتة هى التى تخرج طبقات الأمة العاملة المنتجة التى نعرف كيف نجعل من العلم قوة ثائرة منظمة لنقطع مراحل التخلف التى تركتنا فيها الأجيال التى تقدمتنا . ومن حقنا أن نقول إنها سارت على غير هدى وكانت مقصرة فى نهضة البلاد وخلفت تركة مثقلة بالاثقال .

أحمد رمزى

من الحوادث الأدبية

# يهرب من الحج

## للاستاذ محمد سيد كيلاني

لما عزم الخديو عباس على أداء فريضة الحج في شتاء سنة ١٩٠٩ قرر أن يصطحب معه فيمن يصطحبه من خاصته شاعره الكبير أحمد شوقي. ولكن الشاعر كان في سريرته لا يرغب في أداء هذه الفريضة المقدسة ولم يستطع أن يصرح للخديو بذلك. فتظاهر بالموافقة وركب القطار مع أفراد الحاشية حتى إذا وصل الركب المالي إلى بنها غادر شوقي القطار خفية وانسل من بين الحاضرين دون أن يشعر به أحد؛ وذهب إلى منزل أحد أصدقائه بنها وقضى فيه مدة من الزمن ثم رجع إلى القاهرة. وأخذ الخديو وأفراد حاشيته يتفقدون شوقيا ولكن على غير جدوى. فلما رجع الخديوي من الحجاز وسأله عن السر في ذلك أجاب: كل شيء إلا ركوب الجمال يا أفندينا. وهذا عذر ضعيف يدل على استهتاره بأداء الفرائض الدينية التي من بينها الحج. ولم يكن شوقي أكثر ترفا من بقية الحاشية. فإذا كان الخديو عباس تحمل مشاق السفر فكيف عجز عنها شوقي؟ بل إذا كانت أم المحسنين ومعها وصيفاتها تحملت مشاق السفر فكيف عجز عنها شوقي؟ الحق أن تعليل هربه من أداء فريضة يصبو إليها كل مسلم ومسلمة لا يدل على شيء سوى استهانة بأمر الحج. وشوقي كان إذ ذاك في ريعان شبابه تلوح عليه نضرة النعيم. وكان يقيم في داره بالمطرية الحفلات الساهرة الراقصة حيث الكاس والطاس وغير ذلك مما لا داعي لذكره. ولم يقعده عن هذه الحفلات ضعف فكيف قعد عن أداء تلك الفريضة؟ وبأي عذر اعتذر؟ وما قيمة أعذاره من الصحة؟ قال للخديو: كل شيء إلا ظهور الجمال يا أفندينا. وهذا ليس بعذر مقبول لأننا نعلم أن الشاعر كان يركب ظهور الخيل في القاهرة ويقطع بها مسافات طوالا. ثم إن سكة حديد الحجاز كانت قد افتتحت في ذلك الوقت وكان الناس يستقلون قطاراتها إلى المدينة. فلم تكن المسافات التي كان من المقرر أن يقطعها الشاعر بالجمال سوى تلك التي بين جدة ومكة والمدينة. ثم إن الركب الخديوي كانت به وسائل الراحة التامة. فنرى من ذلك أن هذا العذر لا يصح أن يقوم دليلا على عجز الشاعر عن تأدية الفريضة.

وهو يتمنى أن تكون هناك سيارة أو طائرة لتقرب إليه البعيد وتسهل أمامه السبيل. قال:

ويارب هل سيارة أو مطارة ... فيدنو بعيد البيد والفلوات

ولكنه هو القائل قبل ذلك في الطائرة «أركب الليث ولا أركبها» أما السيارات فقد أدرك عصرها. ولكنه لم يستقلها لأداء الفريضة.

والآن بعد أن ناقشنا هذه الأعذار وبينا أنها متكلفة وأن الشاعر أتى بها ليبرر استهانته بالحج، ننتقل إلى أبيات من قصيدته التي مدح بها الخديو عباسا عقب عودته من الحجاز والتي مطلعها

إلى عرفات الله يا ابن محمد ... عليك سلام الله في عرفات

أما الأبيات التي نريد أن نقف عندها فهي

ويارب هل تغني عن المبدحجة ... وفي العمر ما فيه من الهفوات

وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر ... ولم أبغ في جهري ولا خطراتي

ولا غلبتني شقوة أو سعادة ... على حكمة أتيتني وأناة

ولا حال إلا الخير بين سرائري ... لدى سدة خيرية الرغبات

ولا بت إلا كابن مريم مشفقا ... على حسدي ستغفرا لعداتي

ولا حلت نفس هوى لبلادها ... كنفسي في فعلي وفي نفثاتي

وإني ولا من عليك بطاعة ... أجل وأغلى في الفروض زكاتي

أبالغ فيها وهي عدل ورحمة ... ويتركها النساك في الخلوات

هذه الأبيات وليدة هربه من الذهاب إلى الحجاز. وفيها يبرر عزوفه عن أداء فريضة الحج بمبررات واهية ضعيفة لا تستقيم مع أحكام الدين الحنيف ولا تنهض حجة أمام رجل حريص على أركان الإسلام، محترم لشعائره التي منها الحج. فلا طيبة النفس ولا حب الوطن، ولا الإشفاق على حساده ولا الزكاة ولا أي شيء مما ذكره يغني عن الحج ويقوم مقامه. فشوقي في هذه الأبيات يستوحي العقل ويحتكم إليه ضاربا بأحكام الشريعة الغراء عرض الحائط.

والشيء الذي لا مراء فيه أن شوقيا كان مهملا لفرائض الدين

أستاذ الدعاة وزعيم المصلحين

# شيخ الاســـــلام ابن تيمية

— ٢ —

للاستاذ عبد الجليل السيد حسن

جهاده :

عاش ابن تيمية فى أواخر القرن السادس الهجرى وأوائل السابع ، وقدمنى العالم الإسلامى بكارثتين عظيمتين ، لولا متانة أركانه لأتت عليه : الكارثة الأولى هى الحروب الصليبية ، والثانية : هى الغارة التترية البربرية ، وفى هذه المدة كانت الحروب الصليبية قد انتهت ، وبدأت غزوات التتر تكثر وتشتد وتتوزع حتى عمت العالم الاسلامى .

ورأى ابن تيمية كل ذلك ، وشاهد هذه الاغارات ، وما كان فى طوق مثله أن تمر عليه هـذه الأحداث ولا ياتى إليها بالا كثيره من علماء هذا العصر الذين شغلتهم مناقشـات لفظية لا طائل تحتها ؛ وهو العبقرى الذى تتلخص روحه فى أنه غيور إلى أقصى حدود الغيرة على الاسلام والمسلمين ؛ فوحد إلى أقصى حدود التوحيد فى العقيـــدة مع كل ما يتبع هاتين الخصلتين من توابع .

انغمس ابن تيمية فى تيار السياسة الاسلامية لأنه رأى أن حال المسلمين لن تستقيم . ما دامت سياستهم معوجة والاسلام عنده دين ودولة ؛ وأبرز جوانبه السياسية العملية هى سفاراته للحض على الجهاد ومباشرته الجهاد بنفسه ؛ فكان دائب الحركة ، يذهب إلى الأمراء والسلاطين ، يستحثهم على الجهاد فى سبيل الله ، فيوما فى مصر ويوما فى الشام ، ويوما عند هذا الأمير ويوما عند ذاك يذكى بروحه روح الجهاد بين القواد والجند ؛ يقف

---

عدا الزكاة . فلم يعرف عنه أنه دخل مسجدا أو صام يوما يكفر عن سيئاته ويخفف به أوزاره . وكان فى حياته ماجنا خليعا مفرطا فى شرب الخمر مرسلا نفسه على سجيتها . ولو أن شوقيا نشأ فى وسط حر طليق كواحد من عامة الشعب لظهر أثر الخلاعة والمجون فى شعره بشكل فاضح لايقل عما وصل إليـــه شعراء الخلاعة والمجون فى العصر العباسى . ولكنه نشأ فى وسط رسمى ارستقراطى فكان شاعر الخديو ومادح السلطان عبد الحميد أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين . لذلك اضطر أن يضع حدا فاصلا بين حياته كفرد وحياته كشاعر .

فقد كان ينظم القصيدة ـ وهو تمل ـ فلا ترى فيها غير البكاء على ما أصاب الإسلام والمسلمين والدعوة إلى النهوض والاتحاد تحت لواء الخلافة والحث على التمسك بالفضائل ومكارم الأخلاق حتى لتحس كأنك أمام واعظ يهدى إلى سبل الرشاد . كان يفعل هذا عقب انصرافه من مجلس خمر أو خلوة يرتكب فيها فاحشة

فعدول الشاعر عن الذهاب إلى الحجاز لم يكن سببه الضعف ولكنه كان حلقة من حلقات إهماله لفرائض الإسلام . أما الزكاة التى يتحدث عنها الشاعر ويقول إنه يبالغ فى أدائها فهى أيسر الفرائض على أمثاله من الأغنياء ، إذ لم يكن يتكلف فيها مجهودا ومبالغته فى الزكاة يرجع إلى سبب نفسى هو اعتقاده بأن هـذا العمل يعفيه من تأدية الفرائض الأخرى ، ويجعل كفة حسناته ترجح كفة سيئاته ويغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . ولا فائدة لنا من مناقشة هذا الرأى وإظهار فساده .

على أن هرب شوقى من أداء فريضة الحج قد دفعه إلى نظم قصيدتين أجاد فيهما إجادة تامة . أما القصيدة الأولى فهى الهمزية النبوية . وأما الثانية فهى نهج البردة . وقد عنى فى هاتين القصيدتين بالرد على أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين . ومثال ذلك قوله حاكيا بعض المستشرقين

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

ورد على هذا الرأى بأبيات منها

جهل وتضليل أحلام وسفسطه ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

سل المسيحية الغراء كم شربت ... بالصاب من شهوات الظالم القلم

لولا حماة لها هبوا لنصرتها ... بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

ثم أخذ بعد ذلك يبقى موضوع الصلب ويرفع من شأن الإسلام والمسلمين ويتغنى بماضيهم المجيد . والقصيدتان بالرغم مما فيهما من المحاكاة والتقليد تمتازان بظهور الطابع الحديث عليهما ظهورا تاما وبخاصة الهمزية .

محمد سيد كيلانى

فى المعركة فتارة يصول بسيفه ، وأخرى يشجع المحالع ويثبته ويبشره ويظهر للناس فضل الجهاد وحثهم عليه . هو قائد ملهم ، يحارب فى فتح « عكة » حتى يقال إنه بمشورته وفعله فتحتها المسلمون.

يفتح التتار بقيادة « غازان » ملك التتار حينذاك ـ دمشق ـ ويعلم ملك الكرج ، وهو أعدى أعداء الإسلام بذلك فيبذل لغازان النضار كى يمكنه من المسلمين فى « دمشق » ؛ ويعلم الشيخ بذلك ، فيثور ويهب يبث الحماس فى نفوس المسلمين ، ويشجعهم ويمنيهم بالنصر والظفر ؛ ويروح بجمع الكبراء والوجهاء للذهاب إلى غازان ، وهنا تتجلى قوة الشيخ وشجاعته التى قل نظيرها فى التاريخ .

... تقدم الشيخ الجماعة ؛ فلما حضروا مجلس غازان وقدم الطعام ، رفض الشيخ أن يأكل دون الجماعة ، فقيل له « لم لا تأكل ؟ فقال الشيخ : « كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس .. !! » .

... جلس الشيخ .. فكان يقرب من غازان سلطان التتار ، وخليفة جنكيز خان ، حتى تكاد ركبته تلاصق ركبته .. ويتكلم الشيخ فيعلو صوته على صوته ؛ ورغم كل ذلك كان غازان مصغيا إليه مقبلا عليه ، وأخذ الشيخ يحدثه فى كيف يسلط ملك الكرج على المسلمين ، والمسلمين حرمة ، ودمهم حرام ، وأخذ فى وعظه وتذكيره وكان غازان قد أسلم ، وهو أول من أسلم من سلاطين التتار وطفق الشيخ يخاطبه بعنف وثبات أدهش غازان وأرهبه . . يقول الشيخ له « أنت تزعم أنك مسلم ، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون ـ على ما بلغنا ـ فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين ، وما عملا ما عملت ، عاهدا فوفيا ، وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت وجرت » .

ويعم غازان بهذا الشيخ الجرىء المهيب فسأل : من هذا الشيخ فانى لم أر بين العلماء مثله ، ولا أثبت قلبا منه ، ولا أوقع من حديثه فى قلبى ، وما رأيتنى أعظم انقيادا لأحد منه فدل على مكانة الشيخ وعلمه ، وقد أجاب غازان الشيخ إلى ماطلب ، فحقنت دماء المسلمين .

ولما هم بالانصراف طلب غازان منه الدعاء . . فقال الشيخ فى دعائه : « اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، وجاهد فى سبيلك ، فأيد تؤيده وتنصره ، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فأنت تفعل به وتصنع » .. فكان يدعو عليه وغازان يؤمن على دعائه [ يلاحظ أن التخاطب بينهما كان عن طريق المترجم ] وخاف من كان معه ، واضطربوا حتى أنهم كانوا يجمعون ثيابهم خوفا من أن يقتل فيطرطش بدمه .

وفى عام سبعمائة رجع غازان للاستيلاء على الشام ؛ فطار الشيخ على البريد إلى مصر واجتمع بأركان الدولة وحثهم على الجهاد ، وحض عليه ، ودعا الناس إليه ، وأخذ يخطب فى مصر مذكرا الناس بالجهاد وفضله ، وبما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث.

رجع الشيخ إلى دمشق .. ولكن معه جيش من الغزاة المجاهدين ، لملاقاة الأعداء الذين تجمعوا جماعات اتحدت على النيل من المسلمين .. ولكن الله حاربهم بالثلج والبرد والريح العاصف ، فأعاق ذلك كله غازان وجنده ، فانصرفوا خائبين ، .. فأرسل الشيخ يقول : إن الله صرف العدو بثبات قلوب المسلمين وصدق نيتهم .

وفى سنة اثنتين وسبعين ، كانت موقعة « شحقب » المشهورة بين التتار والمسلمين ، وكانت موقعة فاصلة تعد من المواقع الحاسمة فى التاريخ الإسلامى ، وتعتبر كموقعة « عين جالوت » من حيث الأهمية ، فاما نصر يزيل الغمة ، وإما هزيمة تورث الذلة.

وحشدت القوات الإسلامية ، وحضر الموقعة السلطان الناصر والخليفة ، وكان ابن تيمية الداعية الأكبر للجهاد فى العالم الإسلامى فكان يحض الناس ويحثهم ويستنفر الأمراء والعساكر ، وما اكتفى بالدعوة للجهاد ، حضر الموقعة ، وجاهد بسيفه فى الصفوف الأمامية ، وطلب الاستشهاد ففر منه الموت ، يسأل الشيخ الشجعان ، ويجزع السلطان الناصر والخليفة إلا ابن تيمية ، فهو ثابت واثق من نصر الله ، يمدهما بنصره ويأمرهما بالتوكل عليه .

وتنكشف الغمة ، وينصر الله المسلمين على عدوهم ، ويذيع خبر شجاعة الشيخ بين المسلمين وجهاده ، ويزداد الناس من الالتفاف حوله ، والتبرك به ، ويكثر أتباعه ، ويطربه القوم ، ويمدحون شجاعته ، فيقول لهم متواضعا « أنا رجل ملة ، لا رجل دولة » .

وكان هناك .. خطر سرى أعظم من خطر التتار والصليبيين ، فى قلب العالم الإسلامى ذاته : هو خطر هذه الطوائف السرية التى ظهرت من قبل ذلك ، والتى كان من بين ثمارها « الدولة

الفاطمية » وكم نال هؤلاء من الإسلام والمسلمين ، فتارة يقتلون الحجاج ، ويرمونهم فى بئر زمزم ، وأخرى يأخذون الحجر الأسود ويبقى عندهم مدة . وكانت هذه الحركات تبدو تحت أسماء مختلفة ، كالاسماعيلية والقرامطة الباطنية والنصيرية [1] .

وكان أهل جبل كسروان فى الشام ، من هذه الطوائف ، وقد استفحل خطبهم ، فتوجه الشيخ إلى هذا الجبل لقتالهم ، وكتب إلى أطراف الشام فى الحث على قتالهم ، وأنهم غزاة فى سبيل الله .. ثم ذهب ، ومن معه من الرجال ، وصمم ولى الأمر نائب المملكة إلى الجبل لغزوهم واستمروا فى حربهم وحصارهم ، حتى فتح الله الجبل ، وأجلوا أهله ، وكتب ابن تيمية إلى السلطان يخبره بالفتح ، وأنهم قوم أكفر من اليهود والنصارى ، يعتقدون فى عصمة على ، وكفر الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا يقرون بصيام ، ولا صلاة ، ولا جنة ، ولا نار ولا يحرمون الدم والميتة ولحم الخنزير .. وغير ذلك .

وبالطبع ، كان لابد أن يوجس أولو الأمر منه خيفة ، ويراقبوه ، لأن قلوب الناس كانت معه ، فلو طلب الملك ما بعد عنه ، وأتباعه فى كل مكان كثيرون ، ولعل هذه الأسباب السياسية تبرر ما نال الشيخ من اضطهاد لأسباب دينية تتعلق بالعقيدة ، وتدخل أولى الأمر فيما اعتوره من حبس وإطلاق ، واعتقال وفكاك . ويتضح ذلك مما جرى بينه وبين السلطان الناصر ، رغم إكبار الناصر للشيخ .

وشى عند السلطان الأعظم الملك الناصر ، فى حق ابن تيمية فطلبه السلطان ، ولما حضر بين يديه قال من جملة كلامه معه : إننى أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وأن فى نفسك أخذ الملك » فلم يكترث الشيخ وقال بجنان ثابت ونفس مطمئنة ، رغم أنه لا يدرى أيخرج من هذا الموقف ، ورأسه فوق جسمه أم فوق النطع : « أنا أفعل ذلك !! والله إن ملكك وملك المغول ، لايساوى فلسا عندى » فتبسم السلطان وقال مجلاله : إنك والله لصادق »

١ — رسالة الرد على النصيرية فى « مجموع رسائل » تأليف ابن تيمية طبعة الخانجى سنة ١٣٢٧

## دعوته وآثاره :

كان ابن تيمية نسيج وحده فى دعوته ، وكانت دعوته دعوة فريدة بين الدعوات الإسلامية أيضا . كان من الضرورى وجود ابن تيمية على أرض هذه الدنيا الإسلامية ، بعد أن تغيرت أشياء فى جوهر العقيدة ، وبعد أن وجدت فرق ، وتعددت دعوات ، وكلها لم تجعل كتاب الله وسنة نبيه إمامها ، بل سلطت التأويل على الكتاب والسنة حتى تغيرت الآيات بتغير التفاسير والتأويلات ، فكان من عناية الله أن أرسل هذا العبقرى الذى رجع بدينه إلى حقيقته الأولى وبساطته ، وأوضح ذلك بكتب خالدة ، فكانت عقيدة ابن تيمية توحيدا خالصا ، غير مشوب بشرك على أى صورة كانت ، واستعادة لبساطة الدين ويسره . . . كل ذلك فى حدود الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، ولذا كان ابن تيمية فى التفسير إليه المنتهى ، وفى الحديث لايلحق ، ويشهد على ذلك كتبه فى التفسير والحديث .

عاش ابن تيمية ، فى عصر شاعت فيه الخرافات عند العامة ، واستحكم فيه الجمود عند العلماء ، وذاع فيه التقليد بين الفقهاء . وكم كان سد باب الاجتهاد نكبة على الإسلام والمسلمين ، وكم كان سببا فى عدم انطلاق المدنية الإسلامية ، فى طريقها الذى اختطته ، وكم وقف سدا حائلا بينها وبين التطور والارتقاء — ، فأتى ابن تيمية يدعو إلى أن الاجتهاد غير مقصور على الأئمة السابقين ، بل إنه باب مفتوح للمعاصرين لمن حاز شروطه المعقولة . وكان هو نفسه مثالا للمجتهد المطلق ، فليس شرطا لازما أن لايحيد الإنسان عما قاله الأئمة الأربعة مادام سنده الكتاب والسنة ؛ ويؤيده العقل الراجح .

ولقد كان ابن تيمية لايتقيد فى فتاويه بمذهب من المذاهب الأربعة ، ولا رأى إنسان أيا كان ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه . وعنده أن من خالف الإجماع فيما لم يرد فيه نص ليس بكافر ، وباب الاجتهاد مفتوح لن حصل أدواته ، وما كان ابن تيمية جامدا بل كان يستعين بالقياس فوق ذلك .

* * *

تنحصر دعوة ابن تيمية التى جاهد واضطهد من أجلها ، فى

مبدأين اثنين ، ، الأول: إفهام الناس حقيقة معنى «لا إله إلا الله» فلا يعبد ولا يدعى إلا الله ، ولا ينفع ولا يضر إلا هو ، ولا يملك أحد من أمور العباد شيئا ، فلا نبي ولا ولي ولا شيخ يملك من أمر العباد مثقال ذرة ، ولا يقصد بحاجة إلا الله، ولا يغيث إلا الله

والثاني : محاربة كل ما كان سببا في ضعف المسلمين ، فجاهد في السياسة ، وهاجم الأشياء التي كانت سببا في فرقة المسلمين ، ودعا إلى نبذ ماجعلهم شيعا وأحزابا . ومن هذه الناحية كانت عداوته للفلسفة التي علمت الناس الجدل الذي ذهب بريح المسلمين ، وكون منهم معتزلة ، ومشبهة ، ومجسمة ، ومتصوفه وملحدة . . وغير ذلك من الفرق ، ولهذا أيضا ، كانت مهاجمته للفرق الإسلامية بلا استثناء

ونحن لانريد أن نعرض إلى آراء ابن تيمية تفصيلا ، فإن ذلك يقتضينا جهدا كبيرا، وإنما نريد أن نعرض إلى النواحي التي امتاز بها ابن تيمية ، والتي كانت سببا فيما نقمه الناس من أمره ، والتي لولاها مانال من اضطهاد مانال ، وخلود ذكر . وهي ثلاثة أشياء نعمتها عليه الناس ، الأول : قوله ، في زيارة القبور ؛ والثاني : اتهامه بالتجسيم ، والثالث : إفتاؤه في مسألة الطلاق .

أرسل الله الرسل لنعبده ، لانشرك به شيئا ، فلا يدعو أحد أحدا غير الله «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ... ومالهم فيهما من شرك ومالهم منهم من ظهير » « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له » فعبادة الله وحده هي أصل الدين . . . وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب .

فالذهاب إلى قبور الأنبياء والتمسح بها ، والتمرغ على أعتابها شرك صريح .. وزيارة المشاهد الدينية ،والسفر إلى المقابر حرام، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ،ومسجدي هذا ، . ولا تبنى المساجد على القبور ـ «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ( يحذو ماصنعوا ) [1] ـ وإن بنيت فلا يجوز فيها الصلاة . والخلاصة :

١ مجموعة الرسائل الكبرى حـ ١ صـ ٢

أن زيارة القبور إذا كانت بمواعيد ومراسيم ورحلة فهي حرام، أما زيارة قبر المسلم بقصد العظة والاعتبار فلا شيء فيها ، وأما مايعمله العامة من تعظيم القبور ، والتمسح بها ، وإن كان ذلك بقبر الرسول فهو شرك يستتاب صاحبه وإلا قتل ، . . وأولياء الله هم المتقون المؤمنون « فمن اعتقد في بشر : أنه إله أودعا ميتا ، أو طلب منه الرزق والنصر والهداية ، وتوكل عليه أو سجد له ، فإنه يستتاب . . فان تاب وإلا ضربت عنقه » ، وما ابن تيمية يبدع في دعوته هذه ، فقد تابع فيها النخعي والشعبي [1] .

اتهم ابن تيمية بالتجسيم ، حتى أن «دائرة المعارف الإسلامية» تقول : إنه كان مسرفا فيه ، ولذا كان يفسر الآيات حرفيا . وما كان ابن تيمية مجسما ، وهو الذي حارب المجسمة والشبهة والمعطلة بل أراد أن يقطع هذا الجدل الذي سبب الفرق بين المسلمين . . فمن قائل أن ماورد في الكتاب من نحو : يد الله ، ووجه الله وعرش الله لايؤخذ على ظاهره بل يؤول ، وتتبذ به الناس بين ناف لصفات الله ، ومثبت لها ؛ .. كل ذلك جعل ابن تيمية يرجع بالعقيدة إلى نقائها الأول الذي لا تعقيد فيه ؛ ويدعو إلى عقيدة السلف رضوان الله عليهم . . فكان يكره التأويل ، مبالغا في الإثبات بما ورد في الكتاب والسنة ، مؤمنا بالمتشابه من الآيات ، بريء من التشبيه والتجسيم والتمثيل ؛ . . « فالله فوق عرشه . معنى حق ، لايحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ؛ والله فوق سمواته على عرشه على خلقه رقيب عليهم . فعقيدته «الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله . من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل به .

أما مسألة : الحلف بالطلاق التي خالف فيها الأئمة الأربعة فهي كأن يحلف رجل بالطلاق ثم يقع يمينه فيكفر عنه كأي يمين مادية ، ولا يعد طلاقا ؛ وذلك مثل : لو أن رجلا حلف على أخيه بالطلاق أنه لن يعطيه هذه الحاجة . . ثم أعطاها له ، فإن طلاقه لايقع ، لأنه ربما امتنع عن إعطائه ذلك لسبب .. ثم زال ؛ أوفعل ذلك ناسيا أو متأولا ؛ أوحلف بذلك من أجل صفة .. ثم تبين خلافها فعنده أن الطلاق الثلاث لايقع .

١ راجع صفوة صحيح البخاري للاستاذ عبد الجليل عيسى أبو النصر حـ ٢

وقـد دعا ابن تيمية إلى مهاجمة المسيحية واليهودية ؛ لأن الإسلام إنما أتى ليحل محلهما ، وقد أوقف على ذلك أربعة كتب وهى(١) « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » (٢)« تخجيل أهل الإنجيل » (٣) « الرد على اليهود والنصارى » إبرلين رقم ٢٠٨٤ ) (٤) « الرد على النصارى » ( فهرس التحف البريطانى رقم ٨٦٥ ، ١ ) .

ولقد خالف ابن تيمية الفقهاء فى مسائل كثيرة وقال فيها برأيه . وقد ذكر صاحب « الكواكب الدرية » له خمسة عشر قولا مما خالف فيها ابن تيمية الإجماع ، أو الأقوال المشهورة . وقد قالوا إنه طعن فى رجال يعتبرون حجة فى الإسلام كعمر وعلى ، ولـكنه فى الحقيقة لم يطعن فيهم ، بل طعن فى الغلو فى تعظيمهم بحيث يضاف إليهم من الأفعال مالا يضاف إلا إلى الله . . كما فعلت الشيعة مع على بن أبى طالب ، . . وقـد هاجم ابن تيمية الفلاسفة والمتصوفه عموما ... وهو يكفر الاتحادية وابن العربى خاصة .

وابن تيمية : زعيم « الإصلاح الاجتماعى الدينى فى الاسلام غير مدافع ؛ فهو شيخ المصلحين الاسلاميين على الطلاق وإمامهم .

فلقد أثر ابن تيمية فى علماء عصره ومصلحيه ، ومن جاء بعده منهم من الأتباع ، وحسبنا أن تلميذه هو «ابن قيم الجوزية»

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر ظهرت الدعوات الإصلاحية فى الاسلام ؛ فظهر « محمد بن عبد الوهاب » فى الحجاز ، زعيم المذهب الوهابى وما كان محمد بن عبد الوهاب إلا مبعوثا لتأدية رسالة ابن تيمية واستمرار الدعوته . وقد عرف ابن عبد الوهاب الشيخ عن طريق دراسته الحنبلية ، لأنه كان حنبلى المذهب وكذلك كان ابن تيمية ، وقد اتصل ابن عبد الوهاب بعلماء دمشق الحنابلة منهم ، وشغف بابن تيمية ، وشغل بدراساته وأعجب به . فخط « محمد ابن عبد الوهاب » . . ولقد هاجم ابن عبد الوهاب فدعا بدعوته . وفى المتحف البريطانى بعض رسائل ابن تيمية الأولياء . والمشايخ والقبوريين ، مثل أستاذه . ودعا إلى هـــدم الأضرحة ، والى التوحيد الخالص ، وإلى فتح باب الاجتهاد ، كما فعل أستاذه تماما ، ومن جراء ذلك رمى ابن عبد الوهاب كما رمى أستاذه بالـكفر .

ولقد كانت دعوة ابن عبد الوهاب التيمية . . بدء الدعوات الإصلاح الدينى فى الشرق الإسلامى ، فقد تأثر بها زعماء الأصلاح فى الشرق الإسلامى .. ونادوا بالإصلاح الدينى وفقا لدعوة الرسول مع اختلاف الدعوات باختلاف الدعاة والأقطار ، ولـكن جوهر هـذه الدعوات هو الإصلاح الذى وضع أساس مبادئه ابن تيمية .

فظهر فى المغرب الشيخ أبو العباس التيجانى ، والإمام السنوسى ، وفى مصر الشيخ محمد عبـده ، وفى اليمن : الإمام الشوكانى . . العلامة الفاضل الذى دعا بدعوة ابن تيمية وشرح كتابه « نيل الأوطار » ، ... ولقد أوذى هؤلاء جميعا لا يغيب عن الأذهان . وفى الهند أخذ الدعوة الوهابية ، الزعيم الهندى الوهابى « السيد أحمد ( ١٧٨٢ ـ ١٨٣١ ) ـ وهو غير الزعيم الهندى « السيد أحمد خان (١٨١٧ ـ ١٨٩٨ ) ـ أثناء حجه إلى البيت الحرام ،وقد نشر الدعوة الوهابية فى الهند، ولا فى الإنجليز منه الأمرين .

هذا ... وان تخلو دعوة إسلامية يريد دعاتها الاصلاح الدينى حقيقة من الرجوع إلى دعوة ابن تيمية ومبادئها .

وقـد وصلنا من كتب ابن تيمية ٦٤ مؤلفا ، بين رسالة وكتاب ؛ وقـد طبعت له تسع وعشرون رسالة فى القاهرة سنة ١٣٢٣ تحت عنوان « مجموعه الرسائل الـكبرى » . وجل كتبه مطبوع عدا بعض رسائل متفرقة فى مكتبات أوروبا . [١]

١ راجع دائرة المعارف الإسلامية

عبد الجليل السيد حسن

١ راجع فى ذلك الرسالة الأخيرة من « مجموعة الرسائل » حـ ١ ، وأيضا الرسالة الأخيرة من « مجموع رسائل» لابن تيمية حـ ١ .

حول مقال

# محمد رشيد رضا

## لصاحب الفضيلة الأستاذ حامد محيسن

قرأت بإمعان مقالة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى ، في مجلة الرسالة الذائعة ، في ذكرى عالم ومصلح ، هو السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار رحمه الله؛ فمنت لي ملاحظات أحب أن أسجلها للقراء على صفحات الرسالة . وإن كانت هذه الملاحظات لا تبخس الكاتب قدره ، بل إنما تدفعنا إلى أن نضاعف شكره .

وأهم هذه الملاحظات هي:

أولا : أخذ الكاتب الأفكار التي دونها في مقالته من كلمة الشيخ الزنكاوي في حفلة تأبين السيد رشيد رضا التي أقيمت بدار الشبان المسلمين عام ١٩٣٦ ، وكنت حاضرها بصحبة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي ، وكانت الحفلة برئاسته . وقد نشرت كلمة الشيخ الزنكاوي في الصحف كلها حينذاك ومنها الجهاد ( عدد ٢ إبريل عام ١٩٣٦ ميلادية ) وهو تحت يدي الآن. وقد ألقاها بالنيابة عنه في الحفلة فضيلة الشيخ محمود شلتوت. وإن شئت فاستمع لهذا الاتفاق الظاهر !

قال المرحوم الشيخ الزنكاوي في أسلوب ساحر أخاذ : « طلاب الشيخ — محمد عبده — جميعا كانوا يغترفون من بحر واحد ، وإن تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم » . فقال الكاتب : وبالرغم من كثرة المستمعين للشيخ محمد عبده، وتفاوت درجاتهم في الذكاء والتحصيل ؛ فإن أحدا منهم لم تعمل فيه آثار الشيخ أقوى مما عملت في السيد رشيد ، فكانوا على ضروب وأنواع — ثم أورد حديثا للبخاري وقال إثر ذلك — كذلك كان تلاميذ الشيخ محمد عبده : منهم من لم ينتفع في نفسه ، لأنه مجدب الطبع ، سبخ التربة ؛ ومنهم من نفع غيره ، فنقل مبادئ الشيخ لغيره ، وإن كان هو لم ينتفع بها ، أو قل انتفاعه ؛ ومنهم من انتفع في نفسه ونفع غيره الخ » . فالفكرة هي الفكرة ولكن الشيخ الزنكاوي عرضها عرضا سليما ، من حيث أطناب الأستاذ ، وذكر حديث البخاري دون مناسبة ، وقاس أصحاب محمد عبده بأصحاب الرسول الأعظم ، وأخطأ في عده من لم ينتفع بدروس محمد عبده ولم ينفع غيره نوعا من أنواع تلاميذ الأمام . ولا ندري معنى تعبيره في هذا المقام بقوله : « لأنه مجدب الطبع سبخ التربة » ؛ وبقوله : ضروب وأنواع »

وقال الزنكاوي : « كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوي ، وشخصية بارزة ، امتد صوتها إلى الأقطار العربية والأقطار الشرقية ، بل كان لهذا الصوت أثر في بعض الأمم التي ليست شرقية ولا إسلامية الخ » . فقال الكاتب : « اتخذ من المنار منبرا يدوي منه صوته في جميع بقاع الأرض في جاوة وسومطرة والهند والصين شرقا إلى أوربا وأمريكا غربا»

وقال الزنكاوي : « ولما هوجم الأستاذ الإمام في آرائه الدينية والإصلاحية أخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمه ولسانه وينشر في مجلة المنار آراء أستاذه واتجاهاته وكان يتلقاها من دروس شيخه ، وما كان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمال الفهم واستقلال الفكر » . فقال الكاتب : لم يكن هذا التلميذ — السيد رشيد — مسجلا لأفكار شيخه فحسب ، بل كان مع ذلك مناقشا ومحصا وموجها » . وقد أراد الشيخ أن يعبر عن كلمة الزنكاوي : « اتجاهاته » ، فقال : « موجها » ، فأخطأ فهم ما أراده الزنكاوي ، كما أخطأ التعبير عنه . فهل كان السيد رشيد موجها لأستاذه ؟ كلا ، أو هل كان موجها للجمهور بعد موت أستاذه ؟ كلا ، لأن العبارة الصحيحة عن ذلك أن يقال : « كان يناقش آراء أستاذه ويمحصها ويوجه الجمهور على هداها » مثلا

وقال الزنكاوي عن السيد رشيد : إنه كان من الأفذاذ الذين يخل التاريخ بالكثير من أمثالهم ، ولعل أكبر شاهد على ذلك أن مهمة السيد رشيد لم يستطع إلى الآن أن يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين . فقال الكاتب : « كل ذلك كان يقوم به وحده ، فحقا إن السيد محمد رشيدا أمة ، وغير ذلك من صنع رجل واحد ، فإنه عندما جاور ربه حاولت هيئات كبيرة وجماعات محترمة أن تخرج للناس مجلة تسد فراغ المنار فلم يستطع

أحد منهم على كثرتهم » . وفى العبارة رغم ذلك قلق واضطراب كثير .

وقال الزنكلونى : وكان آخر آية فسرها من سورة يوسف ومات على أثر تفسيره لها قوله تعالى : رب قد آتيتنى من الملك ألخ . فقال الشيخ عبد الجليل مخاطبا السيد رشيد : ألم يكن من علامات قبولك أن آخر آية من كتاب الله سطرت شرحها بخطك هى قوله تعالى : رب قد آتيتنى من الملك ألخ .

ثانيا : ومحور المقالة رمى كبار علماء الأزهر بمحاربة السيد رشيد ومعاداته ، وإن شئت فاستمع قوله : كنت أعلم أن كثيرا من علماء الأزهر خصوصا الكبار منهم كانوا يحيطون السيد رشيد بهالة من الشك فى تدينه ، رغم أنهم لم يجالسوه أو يختبروا علمه أو حتى يكلفوا أنفسهم قراءة كتبه ؛ ثم يذكر قصة ثلاثة من كبار علماء الأزهر تحايل كما يقول عليهم حتى ذهب بهم للعشاء وحدثوا صاحبه وحدثهم ، فأنكره البعض وعرفه الآخرون . ويقول الكاتب أيضاً ؛ وكان السيد رشيد يحارب فى ميادين أخرى علماء جاهلين مقلدين الخ .

أليس فى ذلك ظلم للتاريخ ، وجور على العلماء الذين عرفوا السيد رشيدا وأحبوه وشجعوه وأحاطوه بالإكبار ؟ وإن مجالس السيد رشيد لم تخل يوماً من العلماء ، كبارهم وصغارهم على السواء . ولا ينسى الكاتب التنويه بنفسه وأنه كان وحده من بين العلماء على صلة معروفة بالسيد رشيد ؛ وإذا كنت أيها الشيخ الجليل كذلك فكيف أنكرت السيد رشيدا على مر الأيام ، فلم تقف فى حفلة تأبينه رائيا مع الواقفين من أمثال الزنكلونى والمدوى والهراوى وعبد الله عفيفى وشهبندر ومحمد لطفى جمعة وغيرهم ، بل ولم تكتب عنه كلمة إلا الآن ؟

ثالثا : وفى المقالة تعبيرات طريفة مثل : ذهب مع الريح ، صار شبيها بشريط تسجيل ، وهى قذائف لا تكاد صغير النفس إلا أن يرسلها من فمه ، كأن الأحاديث كانت فى طبق أمامه يلتقط منها ما يريد ، يحيطونه بهالة من الشك فى تدينه ، هذا العمل الذى سجله الشيد رشيد الخ .

رابعا : وفى المقالة أساليب وكلمات غير مستساغة ولا مقبولة لغة أو ذوقا ، :

مثل قوله : العالم المصلح الذى يمكن الاستفادة منه ، وصحتها الأفادة .

وقوله : أزكى فيه روح الثورة ، وكررها بالزاى أيضا فقال : بجرأة وشجاعة أزكاهما النفى والتشريد . والكاتب يقلم أنه يقال : « أذكى النار : أشعلها ، وأذكى الله المال : أصلحه وطهره ، والمعنى الأول هو المناسب هنا فكان الأولى كتابتهما بالذال لا بالزاى .

ومثل قوله : ينفخ فيهم من روح اليقظة ما فتح عيونا عميا ؛ وما هنا مفعول ، ونفخ لا تتعدى بعد الجار والمجرور إلى مفعول ، يقال : نفخ فى النار ونفخها ، ولا يقال : نفخ فى النار ما جعلها تضىء فى البيت مثلا ، وإن كان يقال : مما جعلها تضىء .

ويقول فى كبار علماء الأزهر الذين احتال عليهم حتى يلتقى الجمعان ؛ والقارىء يعرف إذا كانت تصح هنا هذه الكلمة أولا تصح ، وليرشدنا الشيخ الجليل إلى معنى كلمة الجمعين هنا .

ويقول : أكتفى بذكر حادثة وقعت لى أنا شخصيا ، وهو تعبير علمى مرذول .

ويقول فى الأفغانى : فصار ينفخ فيهم من روح اليقظة ما فتح عيونا عميا وآذانا صما ، مما اعتبره الباحثون عود ثقاب أشعل به نارا على المستعمرين . والأسلوب يقتضى أن يقال : أشعلت به النار ، ببناء الفعل للمفعول .

خامسا : وفى المقالة أخطاء تاريخية مثل قوله : « وهذا — أى الرمى بالزندقة — سلاح قديم حورب به الأنبياء والمصلحون ألم يقل ورقة بن نوفل للنبى ( ص ) : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذى ؛ وكذلك ذاق البخارى والغزالى » . فهل رمى محمد ( ص ) بالزندقة ، وهل رمى بها الأنبياء قبله ، وهل رمى بها البخارى والغزالى ؟ أليس ذلك إفتراء على التاريخ ؟

ويقول : كان السيد رشيد يحارب سلاطين جائرين ، وحاكمين ظالمين . والتاريخ ينبئنا أن السيد رشيد وقف حياته على نشر آراء محمد عبده وأفكاره فى الإصلاح .

ويقول : لم يعتمد — السيد رشيد — على ملك ولا حكومة أو جمعية أو حزب . فهل نسى الكاتب اعتزاز السيد رشيد بعطف الغفور له الملك فؤاد عليه وأثر ذلك فى نفسه ؟

سادسا : ولا أنسى إن أقول أن نصف المقالة أحاديث شتى عن ما عدا ذكرى السيد رشيد رضا ، وكان من الواجب ترك

# الأدب المهـــنى

## أو

## أدب أرباب المهن

للاديب خليل رشيد

— ١ —

إلى أولئك النفر القليل ممن جادت بهم الحياة ووهبتهم النبوغ والعبقرية الذين أبوا العيش إلا من قوة أيديهم وعرق جباههم تقدم هذا الحديث.

قبل الشروع فى الحديث أود أن أبين السبب الذى دعانى إلى جمع ماتناثر من أخبار هؤلاء الأدباء ولم شعثهم فى مدرج هذا الحديث. هى أمنية طالما اعتلجت بها النفس، واختلج بها القلب ، أن أهدى ما ضل من تلك العقول الآسنة التى تجعل الأدب وقفا على الطبقة الممتازة وعلى البطالين من ممتهنى الأدب الأفاقين الذين يأبون النزول إلى ميدان العمل بدعوى أن العمل لا يتفق وكرامة الأديب، وأن الأدب والعمل على طرفى نقيض. وهذا القرآن بصريح بيانه يقول ( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ) . وأن ليس للانسان إلا ما سعى ) . وفضلنا المجاهدين على القاعدين درجات ) . والقرآن ملىء بفضل العمل وشرف العامل وذم البطالة والبطالين . ومتى كان أديب التسول والاستجداء أرفع من الأديب المهنى . ومتى كانت للهنة ضمة وحطة لممتهنها ؟ وقد جاء فى الحديث الشريف (إن الله يعطى العبد على قدر همته وفهمته ) ( اعملوا فكل ميسر لما خلق له ) ( اعقل وتوكل ) ( أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ ) ( أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ) ( إذا قصر العبد فى العمل ابتلاه الله بالهم ) ( أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل) مضافا إلى هذا وذاك وزيادة فى الايضاح نورد بعض ماورد من حكم فى هذا الباب .

قالت الحكماء .

(كلب طواف خير من أسد رابض) ( البطالة تقسى القلب) ( أطلب تظفر ) ( من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره ) ( من المعجز نتجت الفاقة ) ( الدعة ذل ) ( لا يفترس الليث الظبي وهو رابض ) .

وجاء فى الشعر العربى قديما فى تأييد ما ذهبنا إليه !

وما غلظت رقاب الأسد حتى . بانفسها تولت ما عناها

وهذا أبو دلف يقول . —

ما للرجال وللنعيم وانما خلقوا ليوم كريهة وكفاح

وهذا السراج الوراق ينشدنا . —

دع الهوينا وانتصب واكتسب واكدح فنفس المرء كداحه

وكن عن الراحة فى معزل فالصفو موجود مع الراحه

وهذا خليفة من خلفاء الامبراطورية الاسلامية يزيد بن عبد الملك يقول ( ما يسرنى أنى كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز ) .

ومن هذا القبيل كثير لا يحصيه عد ولا يحصره حد .

ولا بدع إذا ما امتهن الاشراف بعض المهن من الصنائع ونبذوا التجارة وراءهم ظهريا إذ فى التجارة فقدان مروءتهم ومنافاة الشرف الذى إليه يسمون . ونكتفى بالتدليل على ذلك بقول ابن خلدون فى مقدمته صفحة ( ٣٩٥ ) ما هـذا نصه وتحت عنوان ( خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك ) . ثم يشرح ذلك قائلا ( إن التجار فى غالب أحوالهم إنما يمانون البيع والشراء، ولا بد فيه من المكايسة ضرورة، فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهى أعنى خلق المكايسة بعيدة عن المروءة التى تتخلق بها الأشراف، وأما أن استزل خلقه بما يتبع ذلك فى أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والنش والخلابة وتعاهد الايمان الكاذبة على الأثمان رسما وقبولا فاجدر بذلك الخلق أن يكون فى غاية المذلة لما هو معروف، ولذلك تجد أهل الرياسة يتحاشون الاحتراف بهذه الحرفة لأجل ما تكسب من هذا الخلق . ». ولم يكتف ابن خلدون

١ — من كتابنا . الأدب المهنى المخطوط

---

عاصم حمدى
عضو جماعة كبار العلماء
ورئيس التفتيش بالأزهر

ما لا صلة له بالموضوع .

وأخيرا فاننا نشكر لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى جهوده المباركة . وفقنا الله وألهمنا الصواب .

بهذا القدر بل ذهب فى تأييد ذلك بمقدمته أيضا صفحة ( ٣٩٩ ) قائلا ( قد قدمنا فى الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد والأرباح ولابد من ذلك فى المكايسة والماحكة والتحذاق وممارسة الخصومات واللجاج وهى عوارض هذه الحرفة وهذه الأوصاف تنقص من الذكاء والمروءة .

فلا بدع إذن من أن ينبذ الأشراف التجارة وراءهم ظهريا لما فيها كما قدمنا من فقدان المروءة وخلق غير خلق الأشراف وهم ينبذ البطالة أحرى وأجدر لما فيها من ذلة وحطة . فما عليهم إلا أن يتخذوا صناعة من الصناعات كى تدر عليهم الرزق وتكفيهم مؤونة العيش .

وما المهنة إلا شرف يتحلى به المرء . وقد امتهنها الاشراف من العرب وسادات قريش . واليك ما جاء فى كتاب المعارف لابن قتيبة صفحة ( ٢٤٩ و ٢٥٠ ) تحت عنوان صناعات الأشراف فقال .. —

كان أبو طالب يبيع العطر وربما باع البر . وكان أبو بكر الصديق بزازا . وكان عثمان بزازاً . وكان عبد الرحمن بن عوف بزازاً . وكان سعد بن أبي وقاص يبرى النبـــل . وكان العوام أبو الزبير خياطاً ، وكان الزبير جزاراً ، وكان عمرو بن العاص جزاراً ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل حداداً ، وكان عامر بن كريز جزازاً . وكان الوليد بن المغيرة حداداً ، وكان الوليد بن المغيرة حداداً ، وكان عقبة بن أبي معيط خماراً ، وكان عثمان بن طلحة الذى دفع اليه رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) مفتاح البيت خياطاً ، وكان قيس بن مخرمة خياطا ، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان عقبة بن أبي وقاص تجاراً ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان محمد بن سيرين بزازاً ، وكان عجم الزاهد حائكا ، وكان أيوب يبيع جلود السختيان فنسب اليها . وكان المسيب أبو سعيد زيانا ، وكان مالك بن دينار وراقا ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأى خزازا . وقد جاء فى مقدمة ابن خلدون ما يعزز المهن والصنائع فى صفحة ( ٣٨٣ ) بقوله ( قالوا المعاش إمارة وفلاحة وصناعة وتجارة ، أما الفلاحة فهى متقدمة عليها كلها بالذات ؛ وأما الصنايع فهى ثانيتها . وجاء أيضا بالمصدر نفسه ( ص ) ٤٠١ ( إن رسوخ الصنايع فى الأمصار هو برسوخ الحضارة وطول أمده ) . وورد أيضا بنفس المصدر (ص) ٤٠٣ ( إن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع

وقد يذهب البعض من أدعياء الأدب على أن الأدب وقف على ذوى المراكز الممتازة والطبقة العليا ولا يحق لغير هذه الطبقة أن يدعيه . وإن ادعاه أحد غير هذه الطبقة فادعاؤه باطل وإن جاء بالمعجز المبدع . وإذا ما جاءهم أديب مهنى من ذوى النبوغ والعبقرية بادب رفيع ممتاز فلا يقابل أدبه بغير الاستهجان والازدراء ومط الشفـــاه ، أقول ، — متى كانت العبقرية بنت القصور والضياع ووليـــدة الغنى والثراء ؟ ومتى كان الذكاء أليف الترف والنعيم ؟ وكثيرا ما نرى التبلد الذهنى والخمول العقلى حليف القصور وتوأم الترف والنعيم . وقولهم يناقض العرف وما قيل قديما من أن العبقرية بنت الجوع . ولنعرف الأدب والأديب قبل الدخول فى صلب الموضوع .

الأدب :

مرآة صافية تنطبع عليها انعكاسات المجتمع وصوره بما فيها من آلام وآمال . والأديب — هو العدسة اللاقطة لتلك الصور والانعكاسات . فاذا ما تأثر الأديب بصورة من صور المجتمع أخرجها لوحة فنية ذات منظر أخاذ ، وليس عليه ما تبعثه الصورة فى النفس من ألم وانقباض أو بسطة وانشراح وإنما عليه أن ينقل الصورة بكل أمانة وصدق ، يستطيع والحالة هذه التقاط صور المجتمع بما فيها من آلام وآمال إلا من اندس بين طبقات المجتمع وعانى ما يعانيه من بؤس وشقاء فمتى يستطيع ذو البرج العاجى حليف الخمرة والدن واليف القيد من أبناء الترف والنعيم تصوير البؤس والشقـاء وهى صور الأغلبية الساحقة للشعب ؟ وكيف يستطيع أن يعطينا الصورة صادقة صحيحة من برجه العـاجى من لم يتذوق البؤس والشقاء ؟ فليس أديبا ولا فنانا من يصف لنا الحياة من دائرة ضيقة ولا يراها إلا من جهة واحدة . وليس الأديب إلا من يعطينا صور الحياة من جميع جهاتها بما فيها من آلام وآمال وسعادة وشقاء . ولا يستطيع هذا إلا الأديب الذى خبر الحياة وتذوق منها طعم اللذة والألم . وذاك أديب الواقع الذى يعيش بين طبقات المجتمع ويندس بين صفوفه ، وهذا ينقسم إلى قسمين . قسم يفضل الراحة والهناءة

فيتخذ من الأدب مهنة للكسب والعيش فيبذل ماء وجهه باستعداء الأكف وطلب الصدقات يتسكع على باب هذا وذاك في سبيل الحصول على العيش الرذيل . وهـذا النوع من الأدباء يكون مهدر الكرامة مهان النفس فتأتي صوره مشوهة عن الحقيقة لابسة غير لبوسها حسب ما يقتضيه ظرفه وحسب ما تطلبه مصلحته . والأدب أرفع من أن ينزل إلى هذا المستوى إذ هو في رفيع سامي منزه عن الدنايا والهفوات والا فهو الحقيقي سواء .

لنترك هذا النوع من الأدب والأدباء إذ لا خير يرجى من أدب وأديب ينزل إلى هذا المستوى الوضيع ولنتحدث عن القسم الثاني من الأدباء الواقعيين الذين نريد الحديث عنهم بعد هـذه المقدمة . الأدباء الذين أبوا العيش إلا من قوة أيديهم وما يبذلونه من جهد وذلك باختيارهم مهنة تدر عليهم الرزق وتصون أديم وجوههم من الابتذال وتكفيهم ذل الحاجة والسؤال وتحفظ كرامتهم من الامتهان وهذا القسم من الأدباء أولى بالذكر والخلود . — وهانحن نقدم لك طائفة من هؤلاء الأدباء المهنيين ممن انقادت لهم المعاني واعطتهم قيادها مع شيء يسير من تراجمهم والشيء المختار من أشعارهم ونتاجهم الأدبي ومن الله نستمد المعونة والتوفيق .

الكلام بقية

٣٠ ٥ ٣٥

خليل رشدي

العمارة — العراق

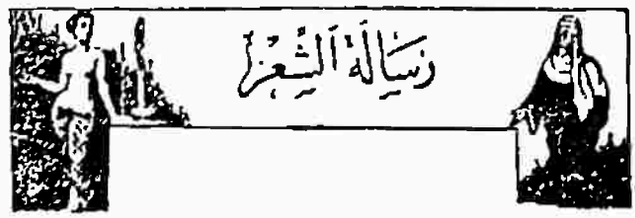


# غناء *

( مهداة إلى الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا )

## اللاعنة هجران شوقي

أتطمع أن تشدو بشعرك قينة ... تردده في آهة الدف العب

وأنت الغناء الصفو والحب والمنى ... وأنت صداح الطير في الفنن الرطب

وأنت سماوي القصيد قبسته ... من اللاعج المشبوب والمدمع السكب

تناجى به السمار في غسق الدجى ... وغنى به العشاق في البعد والقرب

ولما يزل سؤل النفوس وقصدها ... وشغل الليالي الزهر والأنجم الشهب

فيالك من شعر رقيق منغم ... يرف رفيف الطل في ناضر العشب

ترقرق بالشكوى وضمخ بالأسى ... فجاد بما يقري وجاش بما يصبي

أأنت من الوجدان والطبع صفته ... وأفرغته من حرقة الوجد والحب

وأشربته نجوى تذوب رهافة ... وتخضل بالتذكار والأمل النهب

يرى الواجد المكروب فيه عزاءه ... ويبصر فيه الترب يحنو على الترب

* * *

عزيز ! أيا وشي القريض وسحره ... ويا دمعة الذكرى ويا رنة العتب

دع الشعر للأيام تملي فريده ... وتحفظه في مهجة الفلك الرحب

وترسله لحنا جديدا على المدى ... يظل غناء الروح والفكر والقلب

تخلده الأحقاب في الطير شاديا ... فإما شدا بات المحب بلا لب

وفي الأمل المغصوب والحزن والجوى

وفي الشوق والآهات والسهد والكرب

وفي الغائب النائي الذي لفه الردى ... ففاض حنانا وهو في زفرة النحب

غريب حريب لا يقر قراره ... إلى أن يرى في الخلد جنبا إلى جنب

فما الشعر إلا ابن المدامع والأسى ... تجود به الأجفان غربا إلى غرب

إذا خاطب الأرواح رفت بشاشة ... ولو أنها في وحشة المهمه الجدب

يظل حداء الركب ترمى به النوى ... فينسيه ما يلقاه من مسلك صعب

إذا طرب الحادي وهاجت شجونه ... فيا ليت شعري ما الذي حل بالركب

وهل سكر الدرب الذي ضم شملهم ... فثار الهوى وانساب من شفة الدرب

فما يبصر الغادون إلا صبابة ... تطوف على الكثبان والرمل والشعب

على القمر اللماح منها وضاءة ... مسلسلة بين الغمائم والسحب

نشاوى وما ملوا غناء ولا سرى ... ولا تعبوا أو قال قائلهم حسبي

* * *

دع الشعر يا ابن الشعر للدهر وحده ... فدهرك ما زال الصدق من وضر الكذب

وما كل من صاغ الكلام بخالد ... ولا يملك الخلد الممنع بالغصب

* * *

إذا قلت هذا الشعر سؤلي فآذني ... ويا قلب لا تحفل إذا لامني صحبي

فإن علاج الحب أن تمان الهوى ... وتسفحه بين الرسائل والكتب

وأتعب خلق الله في الأرض عاشق ... تدثر بالكتمان والحذر والرهب

وللحسن إشراق ، وللشعر فتنة ... وما كل شعر يا عزيز الهوى يسبي

# تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

على هامش الأدب والنقد :

تحية رائعة كأدبك ، طيبة كإنسانيتك ، وبعد

فلن تبكى وحدك الشاعرة المصرية ( ن. ط. ع ) التى ولدت مع الربيع وماتت مع الورد كما يقول « لامارتين » ، ولكننى سأشاركك فى الحزن عليها ، وأقاسم « الرسالة » نجيعها بهما ، فإن من حق الشعر أن يبكى الشعر ، وما تعرف أسى الشاعرة إلا شاعرة ، وها هى ذى « قرية موت » تهدى إلى روح الشاعرة المصرية ( ن. ط. ع ) التى تفتحت كما يتفتح الزهر وعاشت كما تعيش الفراشة ولكنها تركت عبقا وعطرا ، وألوانا وأحلاما ، فلئن استطاع الموت أن يمحو آثارها من الوجود ، فلن يستطيع أن يمحو تذكارها من النفوس .

وأعود إلى نفسى فأقول : لقد وددت أن نتلاقى فى كتاب مشترك نطلع به على الناس ، وما تدرى لعل هذه الرسائل التى نتبادلها على صفحات « الرسالة » ستؤلف فاتحة الكتاب ، فهى غنية بهذا التجاوب الذى يجعل الرأى يسكن إلى الرأى ، والفكرة تخلد إلى الفكرة ، فدع الكتاب يؤلف نفسه ، ويضم صفحاته ،

وأندى من الشعر الذى طاب نشره ... خلائق أصفى من معتقة الشرب
وقلب عن الكبر الذميم منزه ... تبرأ من داء المخيلة والعجب

* * *

شهدت لقد أنشدتنا الشعر خالدا ... كأن به حبا تغلغل فى حب
فيالك صداحا ويا لك شاعراً ... تفرد بالتحنان والنغم العذب

□ أنظر إلى القصيدتين المحلقتين « كيف ادعوك » و « عتاب » المنشورتين فى عددى الرسالة (٨٩٧ ، ٨٩٨) اللتين أهداهما الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا إلى الآنسة « أم كلثوم » وسألها فى تواضع العظيم أن تصنع فيهما لحناً بكلمة الإهداء الرائعة : « لقد خلدت الخالدين فتنزلى إلى المغمورين »

« دمشق » مجراه شوقي

ولكن حذار أن تنهمى بالعصبية الإقليمية ، فلئن شغلت هذه العصبية « بعض الخواطر واستقرت فى بعض النفوس » فلن تشغل خاطرى ولن تستقر فى نفسى ، فأنا أرى الفن وطنا وأحب أن يتلاقى الناس فى هواه ، وأمقت « من ينتصف لبيئة بعينها دون غيرها من البيئات ووطن بعينه دون غيره من الأوطان » . ولعل الزمن وحده كفيل أن يكشف عن الطوية ويحسر عن الدخيلة ، ويجعل الأعين تتطلع إلى قرارات النفوس ، وحسب الأدب أن يعرب عما تكنه الأرواح وتخبئه القلوب .

ولقد قرأت تعليقك على رسالتى المنشورة فى العدد ( ٨٩٨ ) من الرسالة فسرنى أن نتلاقى فى وجهات النظر ، فإن دل هذا التوافق على شىء فإنما يدل على ائتلاف فى الأدب وامتزاج فى الطبع واشتراك فى التفكير . ولعل من سعادة النفس الإنسانية أن تظفر فى هذه الحياة بمن يرى رأيها ويفكر تفكيرها ويشاركها فى كثير من شعورها وعاطفتها ، حتى تحس أن بينهما تجاوبا تاما يربطهما ربطا ويؤلفهما تأليفا واحدا .

ويسرنى أن أعلمك أنى حين فرغت من قراءة القصيدة المحلقة « كيف أدعوك » المنشورة فى العدد ( ٨٩٧ ) من الرسالة والتى أهداها الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا إلى الآنسة أم كلثوم ، وسألها فى تواضع العظيم وحياء الكبير أن تصنع فيها لحنا بهذا الإهداء الرائع « لقد خلدت الخالدين فتنزلى إلى المغمورين » صحت من أعماق قلبى قائلة : « لا يا أيها الشاعر ! ما ترتضى لك أن تتنزل إلى وهدة المغمورين وأنت فى سماء الخالدين .. إن الشعر الخالد لا يفتقر إلى من يصنع فيه لحناً بعد أن رددته القلوب وغنته الأرواح وأصبح إرث العصور للعصور .

وأنشأت قصيدتى « غناء » وأهديتها إلى الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا لأدله على هذا الأفق الرحيب الذى يحلق فيه شعره ، والمدى البعيد الذى يسرى فيه أدبه ، وما كدت أفرغ من قصيدتى « غناء » حتى ظلمت على الرسالة الأخيرة وفيها قصيدته « عتاب » وقد أهداها ثانية إلى أم كلثوم ، فقلت فى نفسى : هذا كثير يا سيدى الشاعر ! فإن من حق اللحن الخالد أن يتقرب إلى الشعر الخالد فى كثير من التواضع والحياء يخطب وده ويطلب يده

ولقد قرأت كلمتك « بين عزيز أباظة وأم كلثوم » وأنت تعقب على قصيدة الشاعر الكبير « كيف أدعوك » وعلى عبارة الإهداء « المفعمة بعطر التواضع وإنكار الذات » فسرني أن نتلاقى في وجهات النظر وأن ننتهي إلى رأي مشترك هو أن الشعر الخالد يرفع من يغنيه ، ولا يستطيع اللحن الخالد أن يرفع شعر الوهاد والسفوح إلى القمم والذروات !

بعد هذا أحب الا يرجأ نشر قصيدتي « قرية تموت » وأختها « غناء » ، لأن من الشعر ما لو نشر في غير حينه لأضاع كثيرا من رونقه وجماله ... ولك التحية والمودة .

دمشق — سورية  شحرور شوقي

لقد ولدت مع الربيع حقا وماتت مع الورد ... ولكن حياتها كما قلت ، كانت أقباسا من وهج اللوعة ، وفنونا من عبقرية الألم ، وخريفا لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس !

إن روح ناهد تطل عليك من عالمها الآخر يا هجران ، وتحفظ لك هذا الوفاء ، وتشكر لك هذه العاطفة النبيلة التي أملت عليك أن تذكري أختا لك في الأدب والإنسانية ... ترى هل أدركت عن طريق الإلهام سر هذا الأسى الذي أطفأ نور الشباب في إبانه وأذبل زهر الربيع في ريعانه ؟ إنه سر عميق ... كمن بين الجوانح وطويت عليه الضلوع ، وقدر له أن يستقر في تلك الحفرة الضيقة التي ينتهي إليها كل حي ، ويستريح كل شقي ، وتسكن كل حركة ويحدد في زحمة الوجود كل مصير !

يا رحمة الله لتلك الروح التي لقيت من دنياها ما لم يلقه الأحياء حسبها في ظلام القبر أن هناك من يذكرها بالقلب والقلم ، يذكرها إنسانة وفنانة ، وحلما قصيرا داعب أجفان الحياري ثم صحوا من بعده على وخزات الجراح ! ماذا أقول لك يا هجران وقد أثرت بشعرك ونثرك كوامن الشجن ؟ أقول لك تلك الكلمة التي قلتها بالأمس : إن الوفاء يا أختي هو أجمل ما في الحياة .. وحسب الشاعرة الراحلة هذه النفحات المعطرة تهب على ذكراها من « قرية تموت » !

أنا معك في أن من الشعر ما لو نشر في غير حينه لأضاع كثيرا من رونقه وجماله .. ولهذا يسعدني أن أقدم شعرك إلى الناس ، أنت يا أيتها الشاعرة « المجهولة » التي ظلمت فيها حين قضت أن يظل رهين المحبسين : القلب والدار ! وأدفع إلى هذا العدد من الرسالة بقصيدتك الأولى « غناء » وأرجيء قصيدتك الأخرى إلى العدد الذي يليه .

أما عن هذا الكتاب المشترك الذي تقولين إن هذه الرسائل تؤلف بدايته فلست أدري أي حظ ينتظر نهايته .. إن لدي ثلاثة كتب مهيأة للطبع ، ولكن أزمة القراء تصرفني عن التفكير في إخراجها إلى حين ؛ إلى أن يقدر الله لهذه الأزمة أن تنجلي ولهذه الغمة أن تزول ، ويجد القراء من وقتهم وعالمهم وجهدهم ما يعينهم على قراءة الكتب التي تستحق بذل الوقت والجهد والمال ! ماذا نفعل إذا كان القارىء العربي قد أصبح قارىء مقالة ، يريد أن ينتهي منها وهو يحتسي قدحا من الشاي أو يترقب وصول الترام أو ينتظر قدوم صديق ؟ هذا موضوع بحثته في عدد مضى من الرسالة وأحب أن تعودي إليه يا هجران .. وأن تحملي التحية الخالصة والشكر العميق إلى الأديبة السورية المطبوعة السيدة وداد سكاكيني ، التي تفضلت بزيارتي في وزارة المعارف لتأتيني عنك ولتقول لي فيما قالت ونحن نتحدث عن أزمة القراء : لو كنت تعرف منزلتك في الأقطار العربية عامة وفي سورية على الأخص ، لما تأخرت في أن تقدم إلى قرائك ما لديك من كتب .. لست أدري إذا كانت كلمات الأديبة السورية من قبيل المجاملة التي يفرضها الخلق الكريم أم من قبيل الحقيقة التي يؤيدها الواقع الذي لا أعلمه ! مهما يكن من شيء فحسبنا اليوم أن نلتقي على صفحات الرسالة ، لننظر ماذا يكون من أمر الغد القريب .

أما عن هذا الباب الذي فتحته من قبل وهبت منه رياح العصبية الإقليمية ، فإنه ليسرني أن تطرقيه بهذه الكلمات : « إنني أمقت من يتعصف لبيئة بعينها دون غيرها من البيئات ووطن بعينه دون غيره من الأوطان ، لأني أرى الفن وطنا وأحب أن يتلاقى الناس في هواه » .. صدقيني إنني أحب أن أسمع هذه الصيحة من كل قارىء وأديب في مصر وليبنان وسورية والعراق ، وكل وطن تربطه بالعروبة أواصر وأسباب . أحب للكتاب والشعراء أن ينظروا إلى أعمالهم وهي مجردة من أثواب الوطن الصغير ليلفها علم واحد هو علم الوطن الكبير .. عندئذ تختفي من الأذهان هذه العصبية البغيضة التي تتعصب لعلي محمود طه في مصر لأنه

مصرى ، وتقف إلى جانب أبى ماضى فى لبنان لأنه لبنانى ! إن كليهما فى رأيى ورأى الحق شاعر « عربى » . وهـــذا هو العنوان الصحيح الذى يجب أن تدرج تحته أسماء أهل الفن هنا وهناك .

ولقد لمحت من وراء السطور فى رسالتك سر إعجابك بشعر عزيز أباظة ، كما لمحت من وراء الأبيات فى قصائدك سر عطفك على شعر أنور العطار .. ودلتنى هاتان اللمحتان على أن شعر يوسف حداد لم يظفر منك بشىء من هذا العطف وذلك الإعجاب لأنه نغمات تنبعث من وتر غير الوتر ورفات تنطلق من جناح غير الجناح ! أريد أن أقول إن سر ميلك إلى الشاعرين مصدره أن شعرك يعترف ألفاظه وأخيلته وقوالبه من نفس النبع الذى يغترفان منه . . وهنا مفرق الطريق بين نظرتين تفضل إحداهما شعر يوسف حداد وتفضل الأخرى شعر أباظة والعطار . ولست أريد من وراء هـذه اللفتة العابرة أن أخرج شعر الشاعرين من من دائرة الأداء النفسى ، كلا ! وإنما أريد أن أقول أن الوثبات الشعرية التى تحلق باللفظ والخيال فوق المستوى المألوف فى أفق الشعراء ، هى التى تدفعنى إلى أن أزن قصيدة « الشاعر » ليوسف حداد بنفس الميزان الذى أزن به قصيدة « واقصـة الحانة » لعلى محمود طه وقصيدة « الطلاسم » لإيليا أبى ماضى .. وهو مستوى من التحليق لم يبلغه بعد شعر عزيز أباظه ولا شعر أنور العطـار ! إن هناك ياآنسة لونا من الشعر يعجبنى ولونا آخر يهزنى ... وكلا اللونين يرضى عنهما « الأداء النفسى » ولكنه الرضا الذى تختلف درجاته ومعـانيه . وأرجو ألا يفهم القراء أن حكمى على يوسف حداد هو حكم عام على شاعريته ، كلا ! أنه حكم على هذه الشاعرية فى حدود هذه القصيدة الوحيدة التى لم أقرأ له غيرها من قبل .. وقد تكون « فلتة » من الفلتات التى يصعب أن تتكرر من حين إلى حين .

ليس من شك فى أن الآنسة هجران ستشم من هذه الكلام رائحة اختلاف فى الرأى .. لا بأس من أن نختلف فى أمر ونأتلف فى أمور ، وحسبها هذه الأبيات التى قالها شوقى على لسان ابن ذريح .

ما الذى أغضب منى الظبيات السامرية
ألأنى أنا شيمى وليلى أموية ؟
اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية !

ومعذرة لهذا التحريف اليسير فى البيت الأول . إنه تحريف يقتضيه المقام !

## مجرة « الأديب » فى قفص الاتهام:

لقد كان موقفك نبيلا تجاه رسالتى السابقة، لكنك فى التعقيب على الدفاع عن مجلة الأديب المنشور فى العدد ( ٨٩٥ ) من الرسالة الغراء ، غيرت موقفك قليلا . وأحسب أن الصداقة التى تربطك بصـاحب الدفاع هى التى جعلتك تنشر رسالته أو دفاعه الذى يحوى أوضح الاتهامات من غير أن تذكر اسم الكاتب ! فهل أرضى ضميرك هذا العمل ؟ إن النقد يا سيدى — وبالأخص مثل هذا النقد — لا ينشر من غير الاسم الكامل للكاتب، فكيف تجاهلت هذا ؟ إننى ألومك ، فأنت يجب أن تتمسك بالحق ، دون النظر إلى الأمور الشخصية ودون الاعتبار بظروف الصداقة

على أى حال أرجو أن يتسع صدرك وصدر « تعقيباتك » لردى هذا الذى آمل أن لا يحذف منه شىء .. والآن دعنى أحدثك بهذه الأسطورة :

يحكى أن جماعة من الذئاب عصف بها الجوع فعقدت اجتماعا فيما بينها ، وقررت أن تتغذى بكل ذئب أصابه الجرب كى لا ينتشر هذا المرض بين الذئاب . وكان فى تلك الجماعة التى تضم خمسمائة من الذئاب ذئب واحد أصيب بالجرب ، ما إن سمع هـذا القرار حتى رفع صوته صارخا ( أنا لست أجرب ) وما كان من الذئاب الأخرى إلا أن انقضت عليه وافترسته !

أنت ترى يا سيدى أن ذلك الذئب لو لم يكن أجرب لما رفع صوته ، ولما التفتت الذئاب اليه ، ولما افترسته — ومجلة الأديب تشبه فى دفاعها عن نفسها دفاع الذئب الأجرب عن نفسه ! فالكلمة التى سبق أن بعثت بها إليك قد نشرتها دون أن تذكر اسم المجلة ، وجاء فيها أن المجلة التى تبيع النشر بالمال يجب أن تحارب — فما كان من « الأديب » إلا أن رفعت صوتها — على لسان أحد أصدقائها — تقول إنها لا تبيع النشر بالمال ! وغاب عنها أن دفاعها هذا ما هو إلا اعتراف لا يقبل الشك فى أنها تبيع النشر بالمال !!

وإذا وجدتنى أبالغ فيما أقول فدونك أعداد « الأديب » ،

تصفحها جيدا فستراها إلى جانب قائمة الأنصار تخاطب القارىء في افتتاحياتها بين حين وحين بكلمات مستجدية لا يمكن أن تستعملها مجلة لها كرامتها ولها مركزها الأدبي . وإذا صح ما يقوله المدافع عن « الأديب » من أن صاحبها ( معذور ) في الاستجداء السافر ، فلماذا إذن الكد والتعب والإرهاق وما فائدة مجلة فاشلة لا تستطيع الاستمرار في الصدور إلا على يد الأنصار ؟ أجل ، ما نفع مجلة تفرض نفسها فرضا على القارىء في مطلع كل شهر بوجهها الأسود ؟!

يقول صاحب الدفاع عن « الأديب » المختفي خلف نقاط ثلاث : « فليس صحيحا أن جميع أنصار المجلة تنشر لهم المقالات » عفوا يا أستاذ ؛ نسيت أن أستثني من جميع الأنصار نصيرا واحدا أو نصيرين ! أهملت مقالاتهم لأسباب أخرى خاصة ، بعيدة جدا عن النزاهة والحق ! ويقول عن آسان ألبير أديب : « إن ما ذكره كارنيك عن ذلك القارىء العراقي الذي شكره صاحب الأديب على إرسال الاشتراك إلخ ... كذب وافتراء » وأنا أعجب أشد العجب كيف تهور الأستاذ ألبير فنفى ذلك هذا النفي القاطع . لا شك أنه لا يدري أن بإمكاني نشر تلك الرسالة التي أرسلها بخط يده ، كي يطلع عليها القراء ويقفوا على نفسية هذا الرجل الغريب . والآن ليطمئن الأستاذ إلى أني لا أفعل ذلك ، وسأكتفي بهذا التلميح كي لا يتهور ثانية ويتهمني بالكذب والافتراء !

وأحب أن تعلم يا سيدي المدافع أنه لو بدت قلة الذوق في كلمتي بأبشع صورها فإن قلة التبصر تبدو بأشنع صفاتها في رسالة ألبير أديب إلى أحد الزملاء حين يقول له: إنه يعاني أزمة في النشر ، تجعله يفكر في هجر « الأديب » وهجر لبنان !

... أنت ترى يا سيدي المدافع أن هذا الكاتب بعد أن يتهمني بقلة الذوق لأني كشفت الستار عن مؤامرة ألبير لا ينكر قولي ولا يكذبه ... ومع ذلك يتهمني بقلة الذوق فهو يقول: « إن صاحب الأديب قرر مراراً أن يناقي مجلته ، وإنه لم يطلب اشتراك الأنصار إلا بناء على اقتراح هؤلاء الأصدقاء » . ومن كلام هذا المختفي خلف النقاط تستطيع أن تلمح آثار الحقيقة التي كشفت عنها الستار ، فبأي وجه يلقاني حضرة المدافع المجهول ؟ كأنما « الأديب » لم تفعل شيئا غريبا ، وكأنها إذ تتوسل وتستعطف وتستجدي لا تخرج عن مقتضيات الصحافة في العصر الحديث .. ما هذا الهراء ؟ ما هذا الكلام الفارغ ؟ متى كانت الصحافة تجارة ؟ وفي أي جيل وأي عصر نقد الكاتب أو الشاعر ، مبلغا من المال كي ينشر فكرة من الفكر في صحيفة من الصحف ؟! في الوقت الذي كان يجب أن تدفع « الأديب » من عندها للكتاب تراها تأخذ هي من الكتاب ، لقاء نشر كتاباتهم . فهي تريد أن تجعل الأدب ملهاة يستطيع أن يمارسها كل من هب ودب من أصحاب الجيوب المنتفخة ! أيها التاريخ سجل منزلة الفكر في هذا الزمن ، واذكر مجلة الأديب بحروف من ذهب ! !

ويعود حضرة المختفي خلف النقاط — بعد أن عجز عن الدفاع عن مجلته — فيخاطبك زاعما أن سبب ( افتراءاتي ) هو أني أرسلت إلى « الأديب » بعض القصص فأهملت ، ثم عدت فأرسلت له من أحد كتبي مائتي نسخة كي ( أرشوه ) .. ولا شك أنك صدقت قوله هذا كما صدقه سائر القراء ، وكما يجب أن يصدقه كل من لا يعرف الحقيقة على وجهها الصحيح ، وهي غير ما ذكره حضرة المدافع المجهول ... لا أنكر أني أرسلت إلى « الأديب » قصة فأهملت نشرها ، لا لأنها سخيفة كما زعم الأستاذ ، بل لأني كنت متفائلا جداً بالأديب فلم أرفق مع قصتي (المومنة) المطلوبة ! ! ثم جاءني ناشر كتابي ذاك يخبرني أنه أرسل عشرين نسخة من « دموع عذراء » هدية لصاحب الأديب ، على سبيل الاعلان ، وأنه سوف يرسل إليه مائتي نسخة من ذلك الكتاب ... ولما سألته عن سر ذلك أجابني بأنه قد عزم على أن يقدمها هدية لصديقه ألبير ، فلم أتدخل فيما ينوي إذ لا شأن لي في الأمر ! دعني أسألك هنا سؤالا واحدا : لو أن قصصي سخيفة وضيعة كما يقول حضرة المدافع المجهول ، فهل يعقل أن يتهافت الناس عليها وهل ؟ وتسألني : وهل تهافت عليها الناس فأقول لك : تحسب أن هناك ناشرا يبلغ به السخاء ذلك الحد الذي يتبرع فيه بمائتي نسخة من كتاب لم يربح منه ؟!

وما رأيك في أن قصصي لم ترفض ولم توصف بالسخف إلا بعد أن اطلع ألبير أديب على كلمتي في « تعقيباتك » ؟ أما قبل ذلك فتحت يدي رسالة كتبها ألبير إلى الناشر يطلب إليه الاسراع في إرسال النسخ الباقية التي وعده بها ... وحين اطلع على كلمتي

بعد ذلك فى « التعقيبات » كتب إلى ناشرى يقول « أرجو عدم إرسال شىء من كتب كارنيك جورج إذ لا يليق توزيعها باسم « الأديب » نظرا لركاكتها وسخفها ، ثم إن صاحبك هذا حقير النفس لا يستحق التشجيع كما طلبت منى ، ألم تقرأ ما نشرته له مجلة الرسالة ؟ تجد طيا كلمته المذكورة وتعليق الرسالة عليها »!

أرأيت يا سيدى كيف شوهت الوقائع وكيف لجأ صاحب الأديب إلى أمثال هذه العبارات الهابطة، لأنه قد عجز عن الدفاع عن نفسه وعن مجلته ؟ . . ألا ما أحقرها من طريقة تلك التى تذكرنا بقصة الذئب الأجرب فيما سبق من حديث !!

«البصرة ـ العراق» كارنيك جورج

عملا بحرية النشر وتحقيقاً لرغبة الأديب الفاضل فقد نشرت هذه الرسالة كاملة ، ولم أجد لنفسى أن أحذف منها غير فقرة واحدة زج فيها باسمى وكان يمكن أن تدخلنى طرفا ثالثا فى هذه الخصومة . . ويضيق النطاق عن التعقيب فى هذا العدد ، فإلى العدد القادم إن شاء الله .

## هجوم فى جريدة الزمان :

أشهد أننى أقف على رأس المعجبين بالأستاذ محمد على غريب محرر الصفحة الأدبية فى جريدة الزمان . . ومن العجيب حقا أن يهاجمنى الأستاذ الفاضل ثم لا يخفف هذا الهجوم من حدة إعجابى به وتقديرى له ، فى كل مكان يرد فيه ذكره إذا ما تطرق الحديث إلى قيم الأدب والأدباء !

وتسألنى عن سر هذا الإعجاب فأقول لك : إنه إعجاب بهذه الموهبة الفذة التى أتاحت للأستاذ الفاضل أن يكون أديبا من الأدباء الممتازين ! ولئن دلت هذه الموهبة على شىء فإنما تدل على أن الذكاء الخارق يستطيع أن يصل بصاحبه إلى المجد الأدبى من أقصر طريق . . وهذا هو المثل الأعلى الذى سيشير إليه تاريخ الأدب فى يوم من الأيام .

صحيح لقى من الفشل فى حياته ما يرفض معه الصبر وتتبخر قطرات العزاء ، ومع ذلك فقد خلق من الفشل نجاحا ليس له فيما نعلم نظير . . لقد سدت فى وجهه أبواب الرزق فى عالم الصحافة فتطلع بعين الطموح وعزيمة المقتحم إلى ميدان الأدب . وحين أدرك بفطنته أن الصحف الأدبية فى مصر هى الرسالة والثقافة والمقتطف والكتاب والهلال ، لم يفكر فى أن يطرق أبوابها لأنه ذكى لماح . . ومبلغ العظمة فى هذا الذكاء أن صاحبه لا يريد أن يفتضح ، لأن الشرفين على هذه الصحف يعرفون اللغة العربية!

إلى أى مكان يذهب بقلمه ليصبح أديبا فى عداد الأدباء ؟ لقد فكر الأستاذ طويلا ، ومرة أخرى لم يخنه الذكاء اللماح ؛ إن هذا الذكاء اللماح وحده هو الذى قاده إلى جريدة الزمان . . وهناك أصبح أديبا ممتازا لسبب واحد ، هو أن المشرف على هذه الجريدة لا يعرف اللغة العربية . . لأنه ( الخواجة ) إدجار جلاد ! !

أقسم بالله العظيم أنه ذكى ومحظوظ . . ذكى لأنه وجد الخواجة الذى استطاع أن يقنعه بأنه أديب ، ومحظوظ لأن هذا (الخواجة) قد اقتنع فأفرد له مكانا يكتب فيه . . قد تقول لى إن المسألة لا حظ فيها ولا ذكاء ، لأن إقناع ( الخواجات ) بقيم الأدباء أمر يسير . لا يا سيدى! قد يحدث هذا بالنسبة إلى أدباء آخرين . . أما بالنسبة إلى الأستاذ محمد على غريب فهو مستحيل حتى على الزنوج الإفريقيين!!

ومن هنا ينبع إعجابى به . وإن يقال من تقديرى له أنه أديب لا يعترف به غير الخواجة إدجار جلاد . . حسبه أنه يستطيع أن يقنع صاحب الزمان بإخراج كتاب يؤرخ فيه للأدب العربى الحديث . . وعندما يكتب ( الخواجات ) تاريخ الأدب المعاصر ، فسيكون للأستاذ محمد على غريب مكان أى مكان !!

أنور المعداوى


## الجامع الأزهر والمعاهد الدينية

تشهد الإدارة العامة للجامع الأزهر والمعاهد الدينية مناقصة توريد كتب علمية وثقافية لطلبة كليات الأزهر الثلاث وتقبل العطاءات لغاية ظهر يوم الثلاثاء ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٠ والشروط تباع بالإدارة بمبلغ ٤٠٠ مليم وتطلب على ورقة دمغة قيمة ٣٠ مليما . وللادارة الحق فى القبول أو الرفض .

٦١٤٨

# الأدب والفن في أسبوع

الاستاذ عباس خضر

الأحاديث الإذاعية :

من الأحاديث الرسمية التي تقدمها الإذاعة المصرية ، أحاديث يلقيها حضرة الأستاذ مدير دار الكتب المصرية كلما أخرج القسم الأدبي بالدار كتابا أو ديوانا أو جزءا من كتاب أو ديوان . وقد سمعت بعض هذه الأحاديث ، واسترعى أنتباهي خاصة الحديث الذي أذيع عن ديوان كعب ابن زهير من حيث إنه كان كله عبارة عن ترجمة الشاعر ، وكان يجدر أن يشمل أصل الديوان المخطوط وأين كان وكيف حقق وهل سبق طبع أو تحقيق له وما قيمته وما إلى ذلك .

ثم عرفت من تحرياتي - كما يقول زملاؤنا الصحفيون - أن تلك الأحاديث تحضر من مقدمات الكتب التي يضعها لها مصححو القسم الأدبي الذين يقومون بتصحيحها وتحقيق نصوصها وأن مطبعة الدار تطبع هذه الأحاديث ليلقيها المدير في الإذاعة من الأوراق المطبوعة ، وحضرة المدير من كبار الموظفين الذين تحسب مكافآتهم في الإذاعة وفق درجاتهم العالية في الوظائف ، لا كثيرهم ممن لم يحظوا بهذه الدرجات وتقدر لهم الإذاعة الأجر القليل مهما كانت بضاعتهم ، وهم بطبيعة حالهم يتعبون في إعدادها ، بخلاف الكبار من أشباه مديري العموم الذين يذيعون ماتمده إداراتهم ومصالحهم من منشورات ومطبوعات . . أي أن الأجر يعطى على قدر العمل والقيمة عكسا : من جد وجبر فجزاؤه ثلاثة أو أربعة جنيهات ، ومن أذاع منشوار مطبوعا وأكثر من اللحن والخطأ كان له خمسة عشر جنيهات جزاء غير وفاق !

نعود بعد هذا الاستطراد إلى دار الكتب ، فنقول إن مديرها رجل فاضل وهو أستاذ من رجال التربية والتعليم ، ولم نعلم عنه أنه اشتغل بالدراسات المتصلة بالمؤلفات والدواوين التي يخرجها القسم الأدبي بالدار ، فالذي يليق به أن يكتب للاذاعة - إذا رأت الإذاعة أن تستفيد من فنه - في التربية والتعليم أو علم النفس مثلا ، فيكون مايقدمه من إنتاجه الأصيل الذي يستحق المكافآة المادية التي تدخل جيبه الخاص . وفي الوقت نفسه يفسح لموظفي الدار المختصين بموضوعات تلك الأحاديث ليقدموا ما سال عرقهم فيه ويأخذوا مايستحقون عليه ، ويتيحوا للاذاعة شيئا من الأقتصاد الجائر ! إذ تكسب فرق ما بين أجر الموظف الكبير والصغير . .

ثم نخلص من ذلك إلى وجهة عامة ، فليس الأمر قاصرا على دار الكتب ومديرها ، وإنما هي خطة إذاعية محكمة . . تسير عليها الإذاعة المصرية في استجلاب ماتسميه أحاديث رسمية ، وهي أحاديث لايهم أكثرها الجمهور ، وكأنهم يعرفون ذلك ويعلمون أن الأجهزة تثقل وقت أحاديثهم فلا يهتمون بإجادتها وإن كانت الإذاعة تهتم بإجازتها . . نخلص إلى هذه الوجهة العامة لنتمنى أن تخلص الإذاعة من هذا الركود وتتجه إلى الاستقامة ، فلا يكون همها موادة كبار الموظفين ، بل تتجه إلى من تؤنس فيهم الكفاية والاهتمام بتقديم مايفيد ، من الأفراد ، غير مراعية فيهم منصبا ولا درجة .

ومما يتصل بهذا الموضوع ، هذا العدد الوفير من الأساتذة الجامعيين وبعض الصحفيين الذين يطلقون على الأخبار السياسية ويقولون أهم حوادث الأسبوع . . أستاذة أجلاء وأسماء لامعة يحدثون الناس عما قرأه هؤلاء في الصحف أو وقعت أعينهم على عناوينه واختاروا الحسنى فلم يقرؤوه . . وأعجب العجب برنامج « أهم حوادث الأسبوع » لأن صاحبه المجدود يقول للمستمعين ماعرفوه منذ أسبوع . . وكل منهم يستطيع أن يقوله كما يقوله .

وكأني بأولئك الأساتذة لايبذلون في أحاديثهم جهدا ، لأنهم واقفون على طريقة الاذاعة في الإثابة العكسية على المجهود ! وهم - لاشك - معذورون في عدم تقديم بضاعة مفيدة ، لأن الإذاعة تطلب منهم ذلك النوع من الأحاديث ، والإذاعة غالية وطلبها رخيص !

وموظفو الإذاعة المختصون بالأحاديث لهم نظر ثاقب . . وهو بأعينهم في كل عهد من عهود الحكم ، إذ ينظرون إلى أنصار العهد الذي يكون حاضرا فيتقربون إليهم بطلب الأحاديث منهم

وخاصة الصحفيين الموالين . وفي هؤلاء الأنصار والموالين أساتذة يستفاد منهم، ولكن ليس هذا هو مقياس النظر الثاقب الذي لايستطيع أن يمتد إلى هؤلاء الأساتذة في غير أوانهم ...

وبعد فإني أعلم أن معالي الدكتور حامد زكي وزير الدولة المختص بالإذاعة وسعادة كامل مرسي باشا مديرها بالنيابة ، يهتمان باصلاحها ، ولكني أراهما يجدان في تسيير الدفة والجرذان تقرض ألواح السفينة فتثقبها ، والقصور الذاتي لايزال يتحكم في اتجاهها .

*مشكلة القراءة :*

كتب الأستاذ محمد علي غريب في جريدة «الزمان» عن مشكلة القراءة أو ظاهرة الإعراض عن القراءة المتفشية في مصر بين «المتعلمين» الذين وصفهم بأنهم «الذين يصبحون بعد تخرجهم في المدارس أشد أمية من الجهلاء» .

وقد تناول الأستاذ الموضوع من جانب عرض تلك الظاهرة بين الموظفين ومن إليهم ممن يقضون أوقاتهم في الجلوس على المقاهي ولعب النرد ويستهلكون تفكيرهم في تفهم منشورات العلاوات وحسبان الأقدميات ، ولا يفكر أحدهم في أن يقضي وقته في رفقة عبقري موهوب يقدم على صفحات كتابه أشهى يملك ، فيفسح من آفاق فكره ويزيد معارفه وينمي ثقافته ويعرف أن في الحياة ماهو أجل من الترقيات والعلاوات وقد أحسن في تصوير هذه الناحية بقلمه الحي الرشيق — ومقالات الأستاذ غريب هي «ركن الأدب» الحقيقي في «الزمان» ولكنه لم يتعرض لأسباب هذه الأزمة ، بل اقترح تأليف لجنة لبحثها ، قائلا : «ومع اني لاأومن بفائدة اللجان الحكومية وجدواها ؛ فما لي حيلة في قبول — أن تؤلف لجنة لبحث هذا الموضوع : لماذا نكره القراءة؟»

وأنا أشد من الأستاذ غريب يأسا من مثل هذه اللجنة التي يقترحها، إذ أخشى أن تؤلف — إن ألفت — ممن لا يقرؤون .. فالمشكلة كلها آتية من طريقة التعليم وملابساته ، فالمناهج المزدحمة والامتحانات التي تتجه إلى الذاكرة ولا تكاد تهم بالإدراك، وإرهاق التلاميذ والمدرسين — كل ذلك يبغض في الكتاب ، إذ لا يكاد التلميذ ينتهي من «سخرة» الامتحان حتى يلقى بالكتب وهو يشعر بالسعادة لتخلصه منها. وبغضه الكتاب

## كشكول الاسبوع

▫ افتتح نجم فؤاد فؤاد الأول اللغة العربية دورته السادسة عشرة يوم الاثنين الماضي ، فعقد مجلس المجمع جلسته الأولى ومن أهم ما نظر فيه الترشيح لملء الكرسيين الخاليين بالمجمع لوفاة المرحومين الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني والدكتور محمد شرف بك وقد قرر فتح باب الترشيح من جديد

▫ جاء من أثينا أن جامعة أثينا قررت منح الدكتور طه حسين بك وزير المعارف المصرية درجة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة ، وأن الحكومة اليونانية أرسلت دعوة رسمية إلى معاليه ليكون ضيفا عليها خلال شهر أكتوبر إذا أمكن وليتسلم براءة الدرجة في حفل رسمي .

▫ يتبين من السجل الثقافي لسنة ١٩٤٩ أن الكتب التي ظهرت في تلك السنة بمصر بلغ مجموعها ٥٥٩ ، منها ٥١٥ مؤلف ، و ٤٤ مترجم . كما يتبين من توزيعها على الأبواب المختلفة أن الأدب أكثرها حظا ، إذ بلغ ما ألف فيه ١١٩ كتاب وما ترجم ١٦ . وأقلها الاخلاق ، فلم يؤلف فيها ، وترجم كتابان .

▫ ويتبين من المقارنة التي احتواها السجل أن التأليف زاد قليلا في سنة ١٩٤٩ على ما كان في السنتين السابقتين .

▫ ويدل إحصاء الصحف التي تصدر في مصر باللغة العربية ، على أن عدد الصحف اليومية ١٨ ، والأسبوعية ١٩٢ ، ونصف الشهرية ١١ ، والشهرية ٧٧ . وذلك عدا الصحف الرسمية والمدرسية وما يصدر بغير انتظام . ويصدر في البلاد المصرية ٨٩ صحيفة بلغات أجنبية هي الانجليزية والفرنسية واليونانية والأرمنية والفارسية والمالطية .

▫ تفتتح الفرقة المصرية للتمثيل موسمها القادم على مسرح الأوبرا الملكية «بالمسرحية الشعرية» شجرة الدر» للاستاذ عزيز أباظة باشا .

▫ وصلني بالبريد ظرف مفتوح به ورقة تتضمن طعنا في أديب كنت قد تناولت مسألة تتعلق به . وقد اشمأزت نفسي من هذا الصغار ، وأحب أن أقول للصغير المجهول مرسل الورقة : إننا نتناول المسائل من جانبها الموضوعي ، ولاتعنينا هذه الأمور الخاصة ، ولا نضع أنفسنا في موضع الخصومة الشخصية مع أحد .

المدرسي يجره إلى بغض جنس الكتاب . فلا مكان إذن لحب القراءة من نفسه .

ومن أكبر الخطر أن المشكلة واقعة أيضا بين المدرسين أنفسهم .. أولئك الذين يرجى منهم أن يبثوا حب القراءة والاطلاع في نفوس الطلاب ، لأنهم أيضا ضحية هذا النظام المدرسي ، ومن تميل نفسه إلى القراءة منهم لا يجد لها فضلة من نشاط بعد أن يكد يومه في التحضير والتدريس والتصحيح . وكثير ممن يلون مناصب التعليم الكبيرة مروا بتلك الأطوار ، وقد أصبحوا في شيء من الفراغ يمكنهم من القراءة ، ولكنهم لا يزالون على ما تعودوه . ومن هنا خشيتي أن تؤلف اللجنة ممن لا يقرؤون . وما أحسبني في حاجة إلى أن أقول إن هذا الكلام لا ينطبق على الجميع ، فبين رجال التعليم كثير من المثقفين الممتازين الذين كان لهم من أنفسهم وظروفهم الخاصة ما عصمهم من الداء الفاشي .

في كل مدرسة مكتبة ، ولكن هذه المكتبة لعلها المكان الوحيد في المدرسة الذي يشكو الفراغ ، فقل أن تجد طالبا يقصد إليها لاستعارة كتاب أو قراءة مجلة من المجلات الأدبية التي تشترك فيها الوزارة للمدرسة ، وقل أن يدأف مدرس إلى المكتبة ليرى ما تحتويه من نفائس الكتب ولو كانت في المادة التي يدرسها وكثيرا ما تجد المجلات لا تزال في أغلفتها الملصقة ، أما الكتب فهي في غاية النظافة وإن كان يعلوها بعض الغبار . أليست مكتبة المدرسة إذن جديرة بأن يكتب عليها « هنا ترقد بنات الأفكار في مثواها الأخير » ؟ وإن كنا لا نطمع أن يمر بها أحد من التلاميذ والمدرسين ليقرأ الفاتحة ...

ويبدو أن حركة تعميم التعليم وتيسيره لجميع المواطنين غير ملائمة لعلاج تلك المشكلة ، لما تستلزمه من الاكثار من التلاميذ في المدرسة ، ولكني أرى أن أصل الداء في المناهج المزدحمة وفي الكتب المدرسية وكيفية الامتحان فيها ، مما يضيق المجال أمام الكتاب العام الذي يجب أن يتخذه الناشيء بجانب الكتاب المدرسي ، ذلك أيضا يغرس في نفوس الطلاب أن الكتاب ضرورة مدرسية امتحانية يحسن التخلص منها بعد الامتحان . وإرهاق المدرسين ليس بأكبر الجدول فحسب ، بل بأني أكثره من طريقة الشرح والتلقين ، والتدقيق غير المجدي في تصحيح الكراسات ، أي من من إلقاء العبء كله على المدرس وعدم إشراك الطالب وتعويده على التفكير والتحصيل بنفسه ، والمدرس لا يفعل ذلك مختارا ، بل يزاوله بدافع طريقة الامتحان ودافع « التفتيش » الذي يحتاج وحده إلى مقال ..

عباس خضر


## اعلان

يعيد مجلس مديرية البحيرة في المناقصة توريد: (١) الكراسات والادوات الدراسية والظروف (٢) الأثاث الخشبي (٣) الكتب المدرسية (٤) عدد وخامات وآلات لأقسام الأحذية والخيزران والدروجية والنسيج والسجاد بمؤسسة البنين (٥) خامات شغل الابره والاشتغال . اليدوية وفلاحة البساتين .

وقد تحدد لفتح المظاريف ظهر يوم الأحد ٢٩ - ١٠ - ١٩٥٠

ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ خمسين مليما عن كل مجموعة من هذه المجموعات الخمس يضاف إليه مبلغ ثلاثين مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما ٦١٥١

# المعطف

مسرحية من كليفورد باكس

للاستاذ على محمد سرطاوى

( إلى روح الشاعرة المصرية المأسوف على شبابها الهدمله عبد البر التي خلع عليها الأستاذ أنور المعداوى برثائه البليغ فى عدد الرسالة ٨٩٦ حياة خالدة فى الأدب العربى ، ستقرأه الأجيال المقبلة على أنه ألحان من السماء والفاظ من اللؤلؤ المنثور ، ومعان هى السحر يلين من كل كلة تنبض بالحياة ، وكل حرف يسكب الدموع ... )

## كاتب المسرحية

كليفورد باكس كاتب انجليزى معاصر لم تسعفنى المصادر التى بين يدى على تعريفه لقراء الرسالة بأكثر من أنه يعتز بهذه المسرحية ويقول إنها جعلت ملحدا يسير على قدميه عشرة أميال ليشاهد تمثيلها فى بلدة مجاورة للمرة الثانية وأنها جعلته مؤمنا ..

أشخاص المسرحية : ملك ، روح ، فتاة ماتت حديثاً .

المكان : عالم الأرواح غير المنظور

المنظر : ربوة مخضرة عالية ، تحدق بها صخور هائلة ، يوصل اليها طريقان : طريق إلى اليمين يوصل إلى السماء ، وطريق إلى اليسار يؤدى إلى الأرض ، وقد جلس الملك بين الطريقين على مقعد من صنع الطبيعة

يقف الملك ويتلفت يمنة ويسرة . يدخل من اليمين روح فى طريقه إلى الدنيا ، يتحسس طريقه كالأعمى وكأنه فى غرفة مظلمة يشعر الملك بحركته فينظر اليه

الروح : لقد ضللت طريقى — ما فى ذلك شك! إلى أين أمضى؟ أين الطريق ؟ أأبقى متخبطا فى هذا الظلام ؟ أم أعود ادراجى إلى السماء ؟ إلى أين يقودنى المسير ! لست أرى شيئاً مما حولى. لست أدرى هل يبدو الظلام دامسا لعينى على هذا الشكل لقرب عهدى بالسماء ؟ ينبغى أن أنتظر قليلا لعل نظرى يعتاد تدريجيا هذا النور الشاحب. نعم ، لقد صدق ظنى ، ها أنذا أخذت أشعر بكل ما حولى . يخيل إلى أننى فى مضيق بين جبال شاهقة ، تتراءى من فوقها قمم السماء الزرقاء ، ومن تحتى هوة رهيبة يبدو عليها عشب أطلت من أوراقه عيون الأزاهير . اقطعت مثل هذه المسافة الهائلة فى مثل هذا الوقت القصير ؟ يخيل إلى أننى لست بعيدا عن الأرض التى سأعود إليها اليوم والتى كنت فيها مرة واحدة فى الماضى . وإذا لم تخنى الذاكرة ، وإذا لم تكن العيون لتنظر إلى الأشياء هناك نظرة تجسم الجمال ، فانى ما زلت اتذكر أو كما يخيل إلى على الأقل ، احراجا كثيفة ، وسماء صافية ، وفجرا ساحرا ، وغروبا بديعا ، والنور ينبعث من الشمس وكأنه شعاع ذائب من الماس ؛ وما زلت أتذكر رجالا ونساء ترفرف السعادة عليهم ؛ يحملون قلوبا رحيمة وعقولا متزنة . ما أجمل الرجوع مرة أخرى إلى الأرض فى صورة فتاة أو شاب! ليتنى أستطيع الاهتداء إلى الطريق .

الملك : ان الأرض بعيدة عنك مسيرة يوم واحد .

الروح : من ذا الذى يتحدث ؟ أملك ؟

الملك : نعم

الروح : تحية السماء اليك ! لقد أرسلت إلى الأرض فهل لك أن تدلنى على طريقها ؟

الملك : أتريد الحياة فى الأرض ؟ أو لم تكن سعيدا فى السماء؟

الروح : اننى جرة قد ملأتها السماء بالمحبة وفاضت على جوانبها، ولما لم يعد فى استطاعتى الاتساع لشىء أكثر من ذلك السيل المتدفق من النعيم الالهى ، فهل يداخلك العجب ، والحالة هذه إذا رأيتنى أفتش عمن أقاسمهم ما لدى من هذا الكنز النفيس ؟ هنالك أشياء لاشك أننى نسيتها عن الأرض التى ما زال لها آثار حلوة فى ذاكرتى ، ولكننى كنت استمع من وقت إلى آخر ، والدهشة تتملكنى ، من أولئك الذين رجعوا منها ، أن الناس لما يستطيعوا اشاعة والسعادة فى جوانبها كما هى فى السماء ، وهذا ما يدفعنى إلى الاعتقاد بأن هنالك مجالا متسعا للحب ليصنع المعجزة . إذا كنت أسير فى اتجاه غير صحيح، أرجوك أن تدلنى على الطريق .

اننى أعرف الكثير من الأرواح قد ارتعدت خوفا وهى

ندنو من الأرض ، رهبة من شبح اليقظة والنوم هناك : لكنني لا أذكر أن مخاوفا من هذا النوع دارت بخلدي وأنا البث إلى الأرض للمرة الأولى .

الملك . فى استطاعتك من هذه الفتحة رؤية الكواكب الذى تفتش عنه .

الروح : أين ؟ انني أرى نجوما لا يحصيها العد — وكأنها فقاقيع على بحر من الظلام . لست قادراً على تمييز الأرض من بينها : أهى ذلك النبع الهائل المتدفق من اللهيب ؟

الملك : كلا . انها أقل لمعانا . انها دائرة صغيرة ، ومكان متواضع لا يكاد يرى من الشموس فى الفضاء .

ألا ترى تلك الكثرة الهائلة فى الناحية البعيدة من الذنب الأكبر ؟ والتى ينبعث منها شعاع متعدد الألوان كالبجاد الرجل القشيب ؟ من تلك النطفة اتجه ببصرك إلى المشرق واجعل نظرك ينفذ فى استمهال إلى ما وراء المجرة .

الروح : ليس فى استطاعتى أن أرى شيئاً فى ذلك الاتجاه الذى تشير إليه ؛ انما أرى ظلاما دامسا وفراغاً هائلا .

الملك : أرجع البصر إلى تلك الجهة مرة أخرى

الروح : يخيل إلى أننى أرى نقطة شديدة اللمعان ، أهى تلك الأرض ؟

الملك : لقد ابتدأت ترى الاتجاه الذى تتحرك فيه الأرض . ان الذى رأيته ليس إلا الشمس التى يبهر نورها نظر الانسان

الروح : لكننى الآن أرى أقراصاً شاحبة الضوء تدور على نفسها فى شكل دائرى . أتراها ذرات سابحة فى الفضاء فتتحرك أمام عينى المتعبتين ؟

الملك : أترى تلك الدائرة الثالثة ؟

الروح : نعم ... ؟

الملك : تلك هى الأرض . ولكم تبدو للعين صغيرة ، دامسة الظلام ، ولكنها على الرغم من ذلك ، مفعمة بكل شىء جميل ، وكل شىء لا تقوى الأنفس على احتمال مافيه من احزان تطير لها الألباب شعاعاً .

الروح : ألا برئك خبرنى كيف تكون الولادة التى يبعث فيها روح من السماء إلى الأرض ؟

الملك : انها أشبه ما تكون بنوم بطىء ، وانحلال تدريجى ، وجزر تتكمش فيه القوة على نفسها ، وغرق فى تيار الحياة ، ثم يقظة مفاجئة على صراع عنيف فى النفس بين الرغبة والحرمان وبين الدموع والابتسامات .

الروح : أقسم بالذى خلق أن سوف لا يقف ما ذكرت عقبة بينى وبين الحب الذى سأتفق منه حتى تنتهى الحياة نفسها .

الملك : لقد سبقتك إلى الأرض ملايين وملايين من الأرواح التى كانت تحمل فى نفوسها هذا النور . من يدرى فلعلك واجد لديك من القوة ما يكفى للثبات على هذه العزيمة ؟ لكننى لا أرى بدا من أن أحذرك حين أقول لك إن الولادة أو البعث إلى الأرض تحمل فى طياتها معانى تضائل روحانية السماء .

الروح : أرجوك أن تقودنى إلى النقطة التالية لأمضى إلى الأرض ؟

الملك : انك تستعجل الذهاب فى اللحظة التى انتظر فيها مواجهة عمل شاق جدا

الروح : ماذا تعنى !

الملك : اننى فى انتظار فتاة ماتت منذ لحظات لأدلها على الطريق إلى السماء . إن الأرواح حينما تخلع أجسادها ، أو كما يقول أهل الأرض حين تموت ، تمر جميعها من هذا الطريق . إن الأرواح وهى تهبط من السماء إلى الأرض لا ترتدى غير هذا الزى البسيط الذى تبدو فيه أمامى الآن ، ولكن مر السنين على الأرض لا يمكن العقل المحدود الرهق من أن يحيك للروح برداً من المثل العليا وانما ينسج لها معطفا من الكبرياء والغرور والطموح ، لا تستطيع عين الانسان الفانية رؤيته فترتديه النفس ، ويصبح ذلك المعطف الموشى بالذهب والدر والجوهر من سخافات الأرض حاجزا قوياً بين الانسان وجوهره الالهى الصحيح ، كما يختفى لهيب النار وراء الدخان من العيون ، وحين تموت تلك الأنفس لا تخلع هذا الرداء الذى ارتدته على الأرض ، ويبقى عليها فى طريقها إلى السماء وأنا فى هذا المكان الذى يفصل السماء من الأرض ، أقوم بوجوب تعليم الأرواح وارشادها إلى خلع هذا المعطف قبل دخول السماء لتعود اليه فى بساطتها النورانية كما انت الآن

الروح : هل لك فى جميل تطوق به عنقى؟

الملك : ماذا تريد ؟

الروح : ان تتيح لى فرصة إقامة البرهان على اننى لم أتكلم عن الحب إلا كلام المؤمن بما يقول ، وذلك عن طريق اثابتى عنك فى تخليصها من ذلك المطف .

الملك : إن الأمر ليس من السهولة كما يخيل اليك . إنه أمر شاق عسير

الروح : كيف ! أعسير على أن أقنعها بخلع ذلك الرداء ، وأن تعود إلى سابق عهدها ؟

الملك : سأتيح لك الفرصة التى تريدها . تلفت إلى تلك الناحية — إنها قادمة ، ولما تتخلص من المتاعب الأرضية . ها هى تمشى وهى فى حالة متوسطة بين اليقظة والنوم ، أشبه ما تكون بإنسان يحلم حلماً لا يستطيع الانفكاك منه . ( تدخل الفتاة من اليسار وقد ارتدت معطفاً طرزت على حواشيه رسوم معقدة زاهية الألوان ، دائمة النظر . يدل صوتها وخطوات سيرها على أنها نائمة )

الفتاة : كلا ... لا تذهبى ! ينبغى أن لا تتركينى ! ... يخيل إلى اننى فى غير فراشى ، وعلى الرغم من أن الألم قد تاه بكلكله على رأسى ، وإن الحمى قد استراح منها جسدى ، فإننى أحس بأننى أصعد فى عالم خيالى من قمة إلى قمة ، غير مستطيعة الكف عن ذلك : أشعر بميل شديد للراحة فعلى أن استريح

( تجلس على الأرض )

الملك مخاطبا الروح : إنها لما تستطع التخلص من افكارها كما رأيت ، ولا تزال مربوطة بتلك الحياة التى كانت فيها .

الفتاة : اقتربى منى ، أريد أن أحدثك عن أمور لها خطرها عندى . أتسمعيننى ؟ اننى مدينة لأختى بمبلغ من المال ، والخوف يساورها ، وتحدث نفسها عن امكان عجزى عن دفعه إذا استمر المرض طويلا . اكدى لها أننى سأدفع كل مالها ، وأننى لن أموت ، وأن هذا المرض سيزول كغمامة الصيف ... ريح نفسى ! ... ما الذى حدث ؟ لا أسمع مجيبا ... أترانى فى نوم عميق !

الملك للروح : إن هذا الذهول الشديد الذى يعصر كل قوة فيها ، اللحظة بعد الأخرى ، سيصبح أقل شدة وعمقا .

الفتاة : ما هذه الصور التى تتراءى لى ... ! أترانى فى حلم عميق ! ... الصور ... والشمس المرتفعة ... وقد دفنت أشعتها فى الغيوم ، فبدا نصف السماء كأنه اللؤلؤ المنشور ... وتلك السفوح الخضر وقد غطتها الأزاهير التى لا تتحرك . اقتربى قليلا منى ... وإذا حدثتك اليوم عن النقود فمعذرة منى بالدفع حالما تذهب وطأة الحمى ... أين ذهبت ؟ ... يخيل إلى أنك بعيدة عنى آلاف الأميال ... ان صخور الأحلام ترتفع أمام عينى مرة ثانية .. ينبغى أن استمر فى المسير . أشعر بضعف شديد واعياء معرط ... حتى هذا المطف الذى أرتديه قد أصبح يثقل رويدا رويدا فلا أكاد أقوى على حمله .

( تقف بصعوبة شديدة )

الملك للروح : لقد استيقظت الآن . اقترب منها . حل ذلك الطلسم الذى يربطها بالحياة حتى تخلع معطفها .. اسرع فى عملك

( يسير إلى اليمين )

الروح : لقد أتيت لمساعدتك ... و ..

الفتاة : وهل أنا فى حاجة إلى ذلك ! لقد كان كبريائى على الدوام يجعلنى احتقر الاعتماد على الآخرين — ولكن — قل لى من أنت ؟

الروح لماذا ؟ اننى روح فى طريقه إلى الأرض من السماء

الفتاة : لا يوجد شىء كالذى تتحدث عنه ...

الروح : لكن ... كيف ؟ ألا تستطيعين تصديق ذلك الآن ؟ ... أنظرى ... أننى أمامك !

الفتاة : أرواح بلا اجساد ، أشياء غير معقولة ... أنها أشبه ما تكون بآلة موسيقية لا أوتار لها ... ومع ذلك فأننى أرى لك شكلا ..

الروح : إن الشكل الذى تبصرينه إنما هو صورة جسدى هناك .

الفتاة : هناك ؟ أين ؟ أتقصد الأرض !

الروح . أننى ذاهب إليها اليوم .

الفتاة : أتعنى ما تقول ؟ إذا كان ما قلته عن نفسك صحيحاً ففى أية حالة أكون إذن ؟

الروح : إن جسدك قد مات ، وأنت فى طريقك إلى السماء .

الفتاة : أنا ! ميتة ؟؟ رباه ! ماذا أسمع ؟ إذا كان قولك صحيحا فما أجهل الناس على الأرض بأسرار السماء ... إن البشر قد انصرفوا في السنين الأخيرة عن التفكير في هذه الأمور ، واعتقدوا أنها خرافة ، وأن لا حياة أخرى بعد الموت.

الروح : أصحيح ما تقولين ؟ ما أغرب ذلك ! أن مرد استغرابي . إلى عجزي عن تخيل الدنيا التي يعيشون فيها على حقيقتها .

الفتاة : أحسب أن هذه الصخور هي السماء ؟ أليست كذلك؟

الروح : وأسفاه ! إن السماء بعيدة جدا عن هذا المكان الذي وقف فيه ذلك الملك ليفصل عالم المادة عن عالم الروح .

الفتاة : ما دام الأمر كذلك ، فان أحد الطريقين يوصل إلى السماء وحتما . أن طريقي هذا ...

الروح : أتحسين أن في استطاعتك الانطلاق إلى السماء وأنت على هذه الصورة التي كنت فيها على الأرض ؟

الفتاة : لماذا لا يكون ذلك في استطاعتي ؟

الروح : إن الأعمال التي كنت تقومين بها على الأرض ، ليست إلا عتاقيد من التعب تد جف منها الرحيق .

الفتاة : لو كنت ميتة كما يخيل إليك ، لفقدت ثروتي وشهرتي — والآن — وأنا في السماء — على زعمك — تقول لي أنني سأجد تلك الارادة الحديدية التي جعلت اسمي مصدر هلع بين الناس ، وتلك الثقافة العميقة التي صقلت عقلي وجعلته نسيج وحده ، تقول لي : أنني سأجد هذين مسكنين النفسيين الذين هما كل ذخيرتي ، لا شيء أبدا . ومعنى ذلك أنني أصبحت كسائر الناس. إن رغبة عنيفة لا قدرة لي على الغلبة عليها تدفعني إلى دخول السماء . فماذا يجب أن أفعل !

الروح : أول ما يجب عليك عمله أن تخلعي هذا المطف ؟

الفتاة : لكن لا تنس أنني بذلت حياتي وأنا أصنع هذا المطف ، لقد نسجته من آلاف الخيوط ، وزينته بالرسوم المعقدة ولونته بألوان قوس السحاب .. إنه صورة صحيحة عن جهادي في الحياة ، وقليل من البشر من يستطيع الحصول على مثله ، ولا شبيه له عند الناس .

الروح : أقسم لك مؤكدا ، بأن ليس في استطاعتك دخول السماء مالم تخلعي هذا المطف عنك :

الفتاة : لا أستطيع تصديقك ... لماذا؟ لأنني إذا تجردت عن ذلك لم أصبح شيئا .

الروح : إن هذا الذي يعز عليك خلعه ليس برداء .

الفتاة : ... كلا ... إنه أكثر من ذلك ... إنه الشخصية التي أبدو فيها ... إنه حياتي الماضية ... وذكرياتي ... وما وراء كل ذلك من أحلام وأمان وشعور ... وإذا قضي علي بنزع هذا المطف ، فما الذي يبقى مني ؟ ليت شعري ماذا أصبح إذا فقدت شخصيتي ؟ ومن أنا إذا غدوت واحدة من الملايين ... أو مثل اللهيب المنبعث من الشمس ؟ لن أكون في تلك الحالة ، ما أنا عليه الآن ... أبدا ... إذا كنت ذاهبا إلى الحياة على هذه الصورة فأجعل أمانيك قليلة فيها ..

الروح : ماذا تعنين ؟

الفتاة : أعني أنك إذا لم تدبر حيلة تؤثر بها على أبناء جنسك فسوف يكون نصيبك البؤس والعذاب في الحياة حتى نهايتها ... إنك ستكون موضع الازدراء ... تطرد عن الأبواب وتنبذ كشيء حقير تافه

الروح : ألا يساعد الناس بعضهم بعضاً في الأرض ؟

الفتاة : أتبدو على هذه الصورة من الجهل والغباوة ، وتتصدى لبيعي النصائح ! ! إن الأرض بالنسبة إلى حب من طرازك مفروشة بالأشواك ، ومفعمة بالآلام والدموع ... إن الناس سينظرون إليك نظرهم إلى ميتوه أو مأفون ...

الروح : ما أغرب عالما يبدو فيه الخلق الكريم سخافة ! أليس من الإنصاف للنور الذي يشع في ضمائرنا في السماء أن يكون الخلق الكريم كالهواء مشاعا للناس جميعاً .. لا يستغني عنه أحد كائنا من كان ... لكن يريك خبرتي عن الحب ... ؟ أليس له مكان في الأرض بين الناس ؟

الفتاة : إنه كالنجم البعيد ... يرى وسرعان ما يغيب عن العيون ...

الروح : أيتحاوب الناس في الأرض ، في ذلك المكان الذي أكل الدهر عليه وشرب ؟

الفتاة : أنهم يقتتلون على ياردات قليلة من التراب ، وعلى قليل من مادة براقة يسمونها الذهب ...

الروح: أولا يزالون على ضلالهم القديم .. لكن ماذا يفعلون في وقت السلم ؟

الفتاة : عندئذ يجاهد كل إنسان في زيادة ما عنده من رزق كثير وأخذ اللقمة من فم الجائع ...

الروح : أيقاتل الصديق صديقه ، والأخ أخاه ، على هذه الصورة ؟ إذن كيف تتقدم الحياة خطوة واحدة على الأرض ؟

الفتاة : كيف ؟ إن ما فيها من التقدم ، مرده إلى الصدف ، لا إلى إرادة الانسان .

الروح : كنت أظن أن الناس يحملون قلوبا رحيمة ، وأن العدالة طريقهم السوى في الحياة ...

الفتاة : ولماذا تحسبهم كذلك ؟ ألا يرون أنفسهم مجرد عار سابح في فضاء الكون الفسيح ..

الروح : ولكن كيف غاب عنهم أنهم أرواح !

الفتاة : ومع ذلك فأن معظم الناس يبذرون الحياة في الخلقات وفي أثارة المنازعات ...

الروح : وما أسقاه ! إذا كان صحيحا ما أسمعه منك ، فان الحياة جحيم ... لقد ابتدأت أخشى الرجوع اليها .

الفتاة : إذا بقيت سليم الطوية هناك كما أنت هنا ، وبقيت تعتقد أن الحب هو السلطان الذي تخضع له نواميس الكون ، فانك ستجد الناس في حقيقتهم ... جنسا من المخلوقات مجرما في الخبث واللؤم والقسوة والهمجية لا يحترم غير الأقوياء ولا يبجل غير الظالمين ... يعذبون الضعفاء ويجبرونهم على تحمل الأذى والعنت والارهاق ... إنني أسدي إليك هذه النصيحة ... فكن عاقلا ... فكر في نفسك ... وانسج لك من الآن معطفا تتقي به الأذى ، وتخفي ما فيك من طيبة وراء مظاهر القسوة فيه ... إنك في الأرض أحد رجلين ، رجل يفرض إرادته على الآخرين ويسوقهم كالأنعام أمامه ، ورجل لا شأن له بين الناس ، ولا يقول ( لا ) يملء فيه ، إذا سيم خطة الضيم ... ولكن إذا اقتلعت جذور الانسانية والرحمة من قلبك ، وتركتها هنا في السماء وأنت في أول طريقك إلى الأرض ، فانك ستأخذ هناك كل ما تريد ، وتدفع الآخرين عن طريق نجاحك ، وتخطف اللقمة من الجائع ، لا لتأكلها ، ولكن لتحتفظ بها لترفك ... عندئذ لا أرى مانعا يحول بينك وبين السعادة ... وليست لديك وسيلة أخرى للنجاح في الحياة ...

الروح : كنت أحسب أن في استطاعتي جلب الحب للانسان على الأرض قبل حديثك هذا ..

الفتاة : ليس للحب وطيبة القلب مكان هناك ...

الروح : أهذا هو السبب الذي حملك على عمل هذا المعطف لنفسك ؟

الفتاة : الآن والآن فقط ... أخذت ندرك قيمته بالنسبة لإنسان يعيش في الحياة ... لكن بربك أخبرني عن الطريق الذي ينبغي أن أسلكه ؟ يالها من مسالك مخيفة ... هائلة الانحدار ...

الروح : إنك لا تستطيعين التحرك من هذا المكان قبل أن تخلعي عنك هذا المعطف ...

الفتاة : لقد أضحيت مكارا ... داهية أيها الروح ... إنك تسعى الآن - بطريقة خبيثة لتحصل على معطفي هذا لنفسك ... إنها خطة ظريفة ... لكن ما دمت لا تريد أن ترشدني إلى الطريق فسوف أسير كيفما تقودني قدماي ...

( تتحرك سائرة إلى اليمين ... لكن الملك يسد عليها الطريق )

الملك : إلى أين تريدين الذهاب ؟

الفتاة : إلى السماء ... إلى السماء ...

الملك يجب أن تخلعي عنك أولا هذه الكبرياء المتمثلة في نفسك الأمارة بالسوء ..

الفتاة: وأنت أيضا تقول لي هذا ... يبدو لي أن شخصياتنا في السماء ...

الملك : ليست إلا أحلاما أرضية

الفتاة : والذكاء الذي كان يحملنا وراء أعقد المشاكل !

الملك : ستجدين في الآفاق العلوية مالا يخطر لك على بال .. سوف تتعلمين أصعب الأشياء بأسهل الطرق وأسرعها ..

الفتاة : كيف أيها الملاك !

الملك : إذا أحببنا شيئاً عرفنا كل ما تريد عنه سهولة عجيبة ويسر غريب ...

الفتاة : لكن معطفي ليس الا نفسي ... وأنت على الرغم من هذه الحقيقة تقول ... ولكن لا أجدني قادرة على خلعه أبداً

الملك : تشجعي ... وألق بهذه النفس الأرضية بعيداً عنك

الفتاة : لن أفعل ذلك أبداً .

الملك : إذن لا مفر لك من البقاء في هذا المكان وعلى هذه الحالة المتوسطة بين الأرض والسماء ، حتى يحين الوقت الذي يهديك الله فيه إلى الصواب فتكرهين هذه النفس وتودين التخلص منها ..

الفتاة : وا أسفاه ! ليست لي القدرة على البقاء لحظة واحدة في هذا المكان ...

الملك : إذن ... اخلعي هذا المعطف ...

الفتاة : أحس أن مخاوفي ورغائبي قد تساوتا ... كلا ... لكن يجب أن أخلع هذا المعطف مهما كان العمل مخيفاً ...

( تخلع معطفها وترميه على المقعد ... وتبدو في زي بسيط ساذج مثل الروح تماماً )

لقد أصبحت الآن حرة طليقة من القيود ... ورجعت إلى عالم السعادة المطلقة بعد طول الرحيل في عالم الشقاء ... وأصبحت جزءاً من الوجود ... تحمولة على أمواجه النورانية كما تحمل أمواج البحر الزبد إلى الشاطىء القريب ...

الملك : ( يلتفت نحو الروح ) وأنت ... ؟ وداعاً ! إلى اللقاء بعد رحلة الحياة ... إلى اللقاء . ! ..

( يسير الملك والفتاة في الطريق المؤدي إلى اليمين .. ويبقى الروح في مكانه ينظر اليهما وهما ينوبان عنه ... يدير وجهه إلى الجهة الأخرى فتقع عيناه على المعطف .. )

الروح : إن طريقي شاق مرهق طويل ... لقد هزأت الفتاة من بساطتي ... وأكدت لي بأنني سأكون في دنيا البشر موضع التهكم والازدراء ... ولكن ليت شعري ما الذي يحدث لو أنني أخذت معطفها ! أحسب أنني سأكون قوياً ، نافذ البصيرة موضع رهبة الناس واحترامهم جميعاً .. ينبغي أن ألبس هذا المعطف ..

( يلبس المعطف )

لن أكون بعد اليوم أحد أولئك الذين يكتفون بالفتات المتساقط من أيدي الآكلين في وليمة الحياة على مائدة الدنيا . سأضحك من دموع المذنبين ، وأغني على أنين المتألمين ... سأحكم الناس ولن يحكمني إنسان . وسأضع الأثقال عن ظهور الآخرين وأسوقهم بسوط الظلم مخلفين في طريق طويل مفروش بالأشواك والعذاب ...

سأثير الرعب والهلع في رحاب الأرض

ستعرفني الحياة حين أضع العمامة على رأسي

« يسير في الطريق الأيسر هابطاً إلى الدنيا .. »

الملك : بعد أن أخذ مكانه على المقعد بعد ايصال الفتاة إلى السماء لقد لبس المعطف .. ما في ذلك شك ... وا أسفاه ... لقد تبخرت أحلامه برسالة الحب إلى الأرض ... مضى في الطريق التي رسمها القدر له ... إلى دنيا البشر ... إلى المكان الذي تختبر فيه الطبيعة في الطبائع ...

« ينظر إلى اليمين »

أي روح سيهبط الآن من السماء إلى الأرض ؟ ماذا سيكون مصير أحلامه ؟ إن بعض الأرواح حين تصل إلى هذا المكان تنحل عزائمها ، ويتبخر ما فيها من خير قبل وصول الأرض ... ولكن بعض الأرواح يشرق فيها الحب إشراقاً قوياً لا تقوى ظلمات الأرض على طمسه فيها

علي محمد سرطاوي

دار المعلمين الريفية


إدارة البلديات العامة

مياه

تقبل العطاءات بمجلس شبين الكوم البلدي حتى ظهر يوم ١٥-١٠-٥٠ عن توريد أدوات مياه وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة نظير مبلغ ٥٠٠ مليم خلاف أجرة البريد. ٦١٢١

اقصدوا

# متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
( أمام مخزن بضائع محطة مصر )

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية الجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج .

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ماعدا أيام الأثنين والعطلات الرسمية كما يأتى :—

فصل الصيف — من أول مايو إلى آخر اكتوبر
من الساعة ٨٠٠ إلى الساعة ١٣ ٣٠

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل
من الساعة ٨ ٣٠ إلى الساعة ١٤ ٠٠

رسم الدخول ٢٠ مليما

تليفون رقم ٤٩٣ مدينه

مطبعة الرسالة